وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور
– خنشلة –
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية

محاضرات في مقياس:

المقاومة الوطنية العسكرية خلال القرن 19م

مطبوعة بيداغوجية مقدمة لطلبة السنة الاولى ماستر تاريخ – السداسي الأول
تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

إعداد الدكتور:
سيدي محمد رامي

السنة الجامعية : 2020 – 2021


بسم الله الرحمن الرحيم

المطبوعة منجزة بالاعتماد على ما جاء وثيقة مواءمة عرض تكوين ماستر أكاديمي (caneva)

بجامعة عباس لغرور – خنشلة (2017–2018)

الميدان علوم إنسانية واجتماعية

الفرع: علوم إنسانية - تاريخ

عنوان الماستر: المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

السداسي: الأول

اسم الوحدة: الأساسية

اسم المادة: المقاومة الوطنية العسكرية خلال القرن 19

الرصيد:05

المعامل:02

أهداف التعليم:

معرفة الموقف الجزائري الرافض للاحتلال والمستعد للتضحية والفاعل في الميدان.

المعارف المسبقة المطلوبة :

معرفة الانعكاسات العسكرية و مخلفات الغزو الفرنسي الخطيرة على وضع الجزائريين.

محتوى المادة:

- **بدايات الغزو و الاحتلال وظهور المقاومة الشعبية**
- **مقاومة العاصمة ومتيجة**
- **الإستراتجية العسكرية لمقاومتي احمد باي والأمير عبد القادر**
- **استمرار المقاومة الوطنية خلال القرن 19**
- **علاقات المقاومة الوطنية ببلدان الجوار**

مقدمة

عرفت الجزائر إحدى أطول فترات الاحتلال الأوربي منذ ظهوره، وكانت محل أطماع العديد من الدول الأوربية منذ نهاية القرن 15م، حيث كانت هدفا للتحرشات الاسبانية بسواحلها والتي أثمرت باحتلال بعض مدنها، لكن الوجود العثماني بها وبناءه دولة بأسطول بحري قوي استطاع تصفية الاحتلال الاسباني، لكن الأطماع الاستعمارية الأوربية ظلت مستمرة تتحين فرصة تضعف فيها الدول الجزائرية؛ وكانت فرنسا من أشد الدول الأوربية عداوة للجزائر ومن أكثرها طمعا في خيراتها، حيث استطاعت بعد تخطيط ومحاولات كثيرة أن تنفذ مشروع الغزو والاحتلال ضد الجزائر ما بين سنتي 1827 و1830م؛ لأنها وجدت مقاومة رسمية سرعان ما استسلمت لتترك المجال لمقاومة من نوع آخر؛ هي موضوع مقياسنا الذي نحن بصدد تقديمه لطلبة السنة الأولى ماستر؛ تخصص: المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية؛ وعنوان هذا المقياس هو:

المقاومة الوطنية العسكرية خلال القرن 19 م

برنامج المقياس يضم خمسة محاور أساسية، حاولنا تجزئتها إلى محاضرات بحيث تمس الجوانب المهمة من موضوع المقياس وبطريقة بسيطة متسلسلة في ذكر العناصر، لأن الأحداث التي يعالجها المقياس كثيرة جدا ومعقدة، وركزنا على المنهج التحليلي الاستنتاجي من خلال إدراج محاضرتين خاصتين بأنواع وأشكال المقاومات الشعبية ثم أسبابها بعد المحاضرة الأولى الخاصة بخلفيات ومجريات الاحتلال الفرنسي للجزائر وهذا في المحور الأول، المحورين الثاني والثالث كان فيهما المنهج السردي هو الغالب بما أنهما يتحدثان عن أحداث أهم المقاومات الشعبية في المرحلة الأولى بداية بمقاومة العاصمة ومتيجة ومرورا بمقاومتي أحمد باي والأمير عبد القادر مع التركيز على الجانب العسكري، ثم أدرجنا محاضرتين خاصتين بخصائص المقاومات الشعبية وأسباب توقفها ونتائجا في المحور الرابع الذي يضم محاضرة أخرى حول استمرارية المقاومات الشعبية بعد مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي، وحاولنا في محاضرتين أخيرتين ضمن المحور الخامس أن نبين علاقة أهم المقاومات الشعبية بدول الجوار، من خلال

التأثير والتأثر في صورة ما يسمى بوحدة الكفاح المغاربي ضد الاحتلال الأوربي في بدايته، وركزنا على المغرب الأقصى وتونس وليبيا، بما أنها الأكثر توفرا على المادة العلمية والأقرب جغرافيا إلى أهم المقاومات الشعبية في الجزائر.

استندنا في انجاز محاضرات هذا المقياس على العديد من المصادر والمراجع، خاصة منها الأجنبية، لمؤرخين فرنسيين ومنهم ضباط الجيش الفرنسي الذين عايشوا الأحداث، والذين عالجوها بطريقتهم بالخاصة، التي نحاول أن نوضحها للطلاب حتى يتجنبوا الوقوع في المغالطات التاريخية، من خلال ردود مؤرخين جزائريين، ومن خلال تحليلات الطلبة أنفسهم.

نحاول أثناء تقديم هذه المحاضرات منذ تكليفنا بهذا المقياس استعمال أفضل الأساليب وأبسطها وأكثرها تطورا، ومنها استعمال جهاز العرض، بالاعتماد على خرائط وأشكال وأعمدة بيانية لتبسيط المفاهيم وتمكين الطلاب من الاستيعاب بشكل سلس وسريع إن شاء الله.

المحور الأول

بدايات الغزو والاحتلال

وظهور المقاومة الشعبية

المحاضرة الأولى

بدايات الغزو والاحتلال

كانت الحركة الاستعمارية الأوربية اتجاه قارات إفريقيا وآسيا وأمريكا وليدة الرحلات الاستكشافية والثورة الصناعية، ولطالما شكلت المناطق الساحلية وخاصة القريبة من أوربا مطمعا أساسيا للدول الاستعمارية، وفي مقدمتها الجزائر لعدة اعتبارات سنحاول أن نبينها من خلال هذه المحاضرة، التي سنحاول أن نجاوب من خلالها على عدة تساؤلات أهمها: لماذا كانت الجزائر مطمعا أساسيا للحركة الاستعمارية بشكل عام ولفرنسا بشكل خاص؟ ما هي أهم المشاريع الاستعمارية التي استهدفت الجزائر؟ ما هي الأسباب الحقيقة للاحتلال الفرنسي للجزائر؟ وكيف تم ذلك؟

أولا: خلفيات ودوافع الاحتلال الفرنسي للجزائر (الأسباب):

1- الخلفيات التاريخية (تطور فكرة احتلال الجزائر)

مع نهاية القرن 15 م وبداية ق 16م بدأت أطماع الاستعمار الأوربي الحديث اتجاه بلاد المغرب (المغرب العربي) تظهر جليا، حيث تعددت المشاريع الاستعمارية، وكانت بداياتها بالتحرشات الاسبانية والبرتغالية على المدن الساحلية واحتلالها، ثم اتخذت طابعا توسعيا محضا بعد مؤتمر فيينا 1815م، وكانت الجزائر بخصائص موقعها الجيوستراتيجي أهم الأقطار التي شهدت الحملات العسكرية ومشاريع الاحتلال خاصة الفرنسية[1].

وقبل ذلك ظهرت النوايا العدوانية الفرنسية ضد الجزائر منذ الثلث الأخير من القرن 13م، ضمن مشروع ملك فرنسا لويس التاسع في غزو واحتلال بلدان المغرب، بداية بحملته الصليبية على تونس سنة 1270م[2]؛ وبعد معركة "ليبانت" التي انهزم فيها الأسطول البحري العثماني والجزائري ضد الدول الأوربية يوم 9 أكتوبر 1571م تجددت فكرة غزو الجزائر في عهد ملك فرنسا شارل التاسع[3].

رغم ذلك شهدت العلاقات الفرنسية الجزائرية مراحل من التقارب والتفاهم من خلال عقد عدة اتفاقيات خاصة الاقتصادية، إلا أن العلاقات بينهما تأزمت من جديد مع بداية القرن 17م، حيث شهد عهد لويس الرابع عشر (1643-1715) قصف مدينة الجزائر عدة مرات، منها سنوات 1660م و1683م و1688م

[1] – العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص14.

[2] – الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج2، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 52.

[3] – مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص74.

بعد أزمات الأسرى المسيحيين في الجزائر والأسرى الجزائريين لدى فرنسا وإضافة إلى قضية مهاجمة السفن الجزائرية لسفن فرنسية تجارية[1].

وفي سنتي 1791م و1792م تجددت مشاريع فرنسا لاحتلال الجزائر، حيث كانت هناك رغبة قوية للتجار والساسة الفرنسيين أن تحل فرنسا محل إسبانيا في شمال إفريقيا[2]، وخطط نابليون بونبارت بعد ذلك في جعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية من خلال قيادة حملة كبيرة ضد دول المغرب العربي وإقامة مستعمرات عسكرية فرنسية هناك.

ووضع القنصل الفرنسي العام "سانت أندري" (Jean Bon Saint-André) سنة 1802 خطة أوصى من خلالها بضرب الجزائر ضربة قوية وسريعة وإنهاء الحرب في ثمانية أيام لكنها لم تتم؛ وفي يوم 18 أفريل 1808 أمر نابليون وزيره للبحرية "ديكريس" (Decrès) بالتفكير في إعداد غزوة على الجزائر، وذلك على المستويين البحري والبري، ولذلك تقرر إرسال أحد الضباط سرا إلى الجزائر للتجسس، وكان هذا الضابط هو " بوتان " (Boutin. Y)[3]، الذي أقام في الجزائر من 24 ماي إلى 17 جويلية 1808، فكان يتجسس على الحصون والقلاع والمواقع العسكرية يعد خطة النزول ويحضّر التقارير المناسبة لذلك مدعّمة بخرائط [4].

جاء في تقاريره معلومات دقيقة عن التحصينات العسكرية لمدينة الجزائر وطبيعة أرضها، وزمن الحملة المقترحة والمدة المناسبة التي تستغرقها وعدد الجنود الضروري لذلك، والأخطار التي يمكن أن تتعرض لها الحملة من البحر ونصح أن تكون الحملة برا[5]؛ ورغم أن نابليون لم يستطع تنفيذ هذا المشروع لانشغاله بالحرب مع إسبانيا وبحملة روسيا، إضافة إلى الاضطرابات في عدة مناطق من أوربا وفي فرنسا نفسها، إلا أن تقرير بوتان عام 1808م تم الاعتماد عليه لحملة غزو الجزائر سنة 1830 في عهد شارل العاشر[6].

---

[1] – وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص 207-211.

[2] – يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج1،ط1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1965، ص ص 165- 179.

[3] – فانسون إيفنس بوتان (Boutin. Y): من مواليد 1 جانفي 1772 قرب نانت بفرنسا من طبقة بورجوازية، شارك في الثورة الفرنسية الكبرى والحروب النابليونية، كان سفيرا لبونابارت إلى الباب العالي؛ أنظر : أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 3، الجزائر 1982، ص 21.

[4] – عمار هلال، أبحاث وآراء ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص36-40.

[5] – أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص 20-21.

[6] – شارل العاشر هو آخر ملوك سلالة آل بورمون، نظامه سيء ورجعي توفي سنة 1830 بعد فراره إثر ثورة جويلية، وخلفه في الحكم لويس فليب؛ ينظر: Charles Robert Ageron, l'Algérie algérien de napoléon à gaulle,paris,1980 ,p125

2- الخلفيات والدوافع السياسية والعسكرية:

كان الوجود العثماني في الجزائر مع مطلع القرن 16م بداية لنهاية الاحتلال الاسباني فيها وتهديد مباشر لأطماع التوسع الأوربي ليس فقط في الجزائر وإنما في جميع سواحل بلاد المغرب، ولكن الجزائر العثمانية عرفت اضطرابات وصراعات على الحكم في المراحل اللاحقة، وانشغل الحكام فيها بالتنافس من أجل كسب الأموال والغنائم والضرائب من النشاطات العسكرية البحرية، واتسمت سياستهم الداخلية بالعزلة ما لم يسهل عملية اندماج الأتراك بالعناصر المحلية، مما انتج نوع من الحواجز والطبقية التي أثارت سخط السكان وعدم تحمسهم للتضامن مع النظام الحاكم وهذا ما زاد من خطر زواله في حالة العدوان الخارجي[1].

كانت فرنسا تسعى دائما إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع الجزائر لتحقيق مكاسب اقتصادية، ومنها احتكار استثمار المرجان[2]، حيث أنه ما بين 29 مارس 1619م إلى 5 جوان 1830م كانت هناك 75 معاهدة تخدم مصالح فرنسا، لكن أطماع فرنسا حالت دون استقرار علاقاتها السياسية مع الجزائر، بل وكانت تتطور أحيانا إلى مناوشات ومواجهات عسكرية، أو قطع للعلاقات الدبلوماسية، خاصة بسبب التصرفات الاستفزازية للشركات الفرنسية على رأسها شركة "لنش" في ساحل القالة وعنابة التي كانت تتصرف وكأنها في بلد تملكه فرنسا [3].

من الناحية العسكرية أرادت فرنسا أن تعوض هزائمها في أوربا وفشل حملتها على مصر، وفقدانها لعدد من المستعمرات في أمريكا الشمالية والهند وغرب إفريقيا (السنغال) بعد حرب السنوات السبع (1756-1763) ضد بريطانيا[4]، فكان مشروعها بأن تعيد سمعتها العسكرية على حساب الجزائر، وقطع الطريق على بريطانيا أشد منافسيها؛ ومن جهة أخرى شجعت بريطانيا والنمسا ملك فرنسا شارل العاشر على القيام بحملة عسكرية على الجزائر لإنهاء مشاريع فرنسا التوسعية في أوربا بعد الحروب النابليونية؛ ورأى فيها ملك فرنسا فرصة للحفاظ على

---

[1] - صالح فركوس ، الحاج أحمد باي قسنطينة1826-1850، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 11-13.

[2] - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 2،دوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 ،ص32.

[3] - صالح فركوس ، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال – المراحل الكبرى، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص ص 175-176.

[4] - **حرب السنوات السبع**: هي حرب اشتركت فيها جميع دول أوربا تقريبا، وامتدت إلى أمريكا والهند، نشبت في البداية بين بروسيا والنمسا من أجل السيطرة على ألمانيا، وساعدت بريطانيا بروسيا كما ساعدت فرنسا النمسا، وبالإضافة إلى خسارتها أراضي أمريكا الشمالية، أفرغت خزينة فرنسا وقامت فيها الثورة، أنظر: فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج3، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ص 1226-1236.

عرشه من الثورة الشعبية التي كانت تعم البلاد، وإلهاء الجيش وبالتالي التخلص من إمكانية قيامه بانقلاب ضده[1].

وجاء مؤتمر فيينا ليؤكد في قراراته النهائية بتاريخ 9 جوان 1815 تحريم القرصنة التي كانت تقوم بها الجزائر حسب الدول الأوربية، ليدعم مشروع فرنسا في القيام بحملة عسكرية على الجزائر، وتجلى ذلك بداية من سبتمبر 1818 حيث وصلت حملة عسكرية بحرية إنجليزية – فرنسية بقيادة الأمرالين "فريمونتل" و"جوليان" ليعلنا للداي قرارات مؤتمر إكس لاشابيل الذي أكد منع القرصنة وتجارة العبيد، لكن الداي رفض الانصياع للمطالب والتوقيع على الوثيقة التي قُدمت له[2].

3- الخلفيات والدوافع الاقتصادية والاجتماعية:

من أهم الدوافع الاقتصادية لاحتلال الجزائر بالنسبة لفرنسا هو التخلص من تسديد ديونها المتبقية، إضافة إلى طمعها في الكنوز الموجودة في الجزائر خاصة خزينة الداي التي حسب تقديرات فرنسا كان يوجد فيها حوالي 150 مليون فرنك وهي غنيمة معتبرة حال احتلالها للجزائر[3]، كما أن ذلك يوفر لفرنسا أسواق جديدة ومواد خام ضرورية للانتاج الصناعي، حيث كانت مجموعة من التجار الفرنسيين متحمسين لفكرة احتلال الجزائر والاستيلاء على الأراضي الخصبة بها لزراعة مختلف المحاصيل خاصة العنب والبحث عن مناجم الذهب، وتطوير أسواقهم التجارية وتوسيعها. [4]

وجاء في تقرير وزير الحرب الفرنسي "كليرمون تونير " (Clermont Tonnerre) الذي أرسله إلى شارل العاشر في سبتمبر 1827م، حين يقول " ...توجد مراسي متعددة على السواحل الجزائرية الممتدة التي يعتبر الاستيلاء عليها مفيدا لفرنسا، وأراضي الجزائر بها مناجم غنية بالحديد والرصاص، وبكميات كبيرة من الملح والبارود..."

---

[1] - Charles André Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine, Paris, 1964, pp 33-34.

[2] – صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، المرجع السابق، ص15.

[3] - Charles André Julien, Ibid, pp 33-34.

[4] – إحسان حقي، الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1961، ص45.

هذا كله بالإضافة إلى أن تعداد سكان فرنسا كان في تزايد مستمر بفضل تحسن ظروف الصحة والحياة بعد التطور الاقتصادي الناتج عن الثورة الصناعية بشكل عام، إذ بلغوا 32 مليونا عام 1830[1]، وهذا يمثلا عبئا اقتصاديا إضافيا، وبالتالي يجب البحث عن مجال لإسكان بعضهم، وكانت الطبقة البرجوازية والسياسية تسعى إلى توطين الفائض من سكان فرنسا وأوروبا بالجزائر من أجل الخدمة الفلاحية[2]

4- الدوافع الدينية والحضارية:

رغم أن الدوافع الاقتصادية هي المحرك الأساسي للنزعة الاستعمارية الأوربية في العصر الحديث، إلا أن الصراع الديني المتواصل بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي ساهم في توجيه الاستعمار الأوربي نحو البلاد الإسلامية، وتجلى هذا الصراع خاصة بين الدول المسيحية الأوربية والدولة العثمانية التي أوشكت بفتوحاتها على أَسلمَةِ أوربا بكاملها؛ وكانت الجزائر حليفة الدولة العثمانية بل ذراعها الأيمن في حوض البحر المتوسط، وهذا ما جعلها في مقدمة أعداء الدول الأوربية[3]، وظهر هذا العداء في الحلف الصليبي لمؤتمر فيينا 1815م، وإكس لاشابيل 1818م، اللذان أكدا على ضرورة تحطيم قوة الأسطول الجزائري وانهاء سيطرتها على البحر المتوسط.

ومن العوامل الدينية التي ساعدت فرنسا على التخطيط لاحتلال الجزائر عودة الكنيسة إلى نشاطها وإعادة الاعتبار إلى المسيحية وإنقاد المسيحين من أيدي القراصنة الجزائريين- حسب تعبيرها-، لأن فرنسا كانت تعتبر نفسها حامية المذهب الكاثوليكي وراعية لنشر المسيحية[4]، وهذا ما جاء في خطاب الملك شارل العاشر لأساقفة المملكة حين قال": إن هدفنا أن تقيموا صلوات في جميع الكنائس وتطلبوا من الله أن يحمي الراية ويعطينا النصر،... ما سوف يحققه جيش الملك من انتصار هو في سبيل البعث الديني والمسيحي في إفريقيا."[5]، وهذا ما أكده كاتب الحاكم العام للجزائر عام 1832 بقوله ":إن آخر أيام الإسلام قد دنت وفي خلال

[1]- Adolphe d' Angeville, Essai sur la Statistique de la Population Française, BOURG Imprimerie de Fred dupour, Paris, 1838, p20.

[2] – محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الاحتلال (دراسة في الذهنيات والبنيات والمآلات)، دار ابن النديم للنشر والتوزيع،الجزائر،2009، ص ص 135-136.

[3] – عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص86.

[4] – خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية في الجزائر 1830- 1871 ، دار دحلب، الجزائر، 2009، ص15.

[5] – عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980، ص351.

عشرين سنة لن يكون للجزائر ربٌ غير المسيح، ونحن إذ أمكننا أن نشك أن هذه الأرض لفرنسا فلا يمكننا على أي حال أن نشك بأنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد"[1].

5- الأسباب المباشرة (الذرائع):

اجتمعت الدوافع والأسباب السابقة الذكر لتجعل الحكومة الفرنسية تخطط للقيام بحملة عسكرية ضد الجزائر لكنها كانت تحتاج إلى ذريعة، فوجدتها فيما عرف بـ"حادثة المروحة"، حيث أنه بمناسبة عيد الفطر الموافق لـ 30 أفريل 1827، نظم الداي حفل استقبال لعدد من الشخصيات المحلية والأجنبية لتقديم التهاني، وخلاله جرى نقاش بين الداي حسين[2] وقنصل فرنسا بيار دوفال[3] (Pierre Duval)، حيث سأل الداي القنصل الفرنسي عن سبب تأخر وتماطل الحكومة الفرنسية في الرد على رسالته لتسوية الديون العالقة، والمقدرة بـ: 300 مليون فرنك ذهبي، فأجاب دوفال بكلمات غير لبقة ومستفزة، لم يحترم بها قدره من داي الجزائر ولا الأعراف الدبلوماسية، وهذا أغضب الداي، فرد عليه بلطمه بنشاشة الذباب التي كانت بيده، ثم قام بطرده من مجلسه في حضرة مجموعة من الأعيان، وبعض قناصل الدول الأجنبية المعتمدين في الجزائر.

سافر قنصل فرنسا إلى بلده حاملا معه شكوى لحكومته على ما فعله الداي معه، وسرعان ما استغلت فرنسا هذه الحادثة لتحرك قواتها البحرية نحو الجزائر وتقوم بفرض حصار لا يُرفع إلا بعد أن يقدم الداي حسين اعتذاراته، لكن الداي رأى أن قبول شروط فرنسا مذلة كبيرة؛ وليظهر أن الحصار غير مؤثر قام بهدم بعض مباني المؤسسات الفرنسية في القالة وبونة، واستنفر الجيش ورفع عدد أفراده العاملين وأمر البحرية الجزائرية بمواصلة نشاطها، وكانت هذه بمثابة ذرائع أخرى زادت فرنسا إصرار لتنفيذ مشروع غزوها للجزائر[4].

---

[1] - Claud Collot, les institution de l'Algérie durant la période colonial (1830_1962), Edition du GNRS, paris,1987,p125-126.

[2] - **الداي حسين**: إسمه الحقيقي حسين بن الحسن، وعرف بالداي حسين، وهو آخر دايات الجزائر، ولد في فبراير 1768 بالقسطنطينية، عين دايا للجزائر في مارس 1818، ينظر إلى: احمد الشريف الزهار، مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص:141-145.

[3] - **بيار دوفال**: قنصل عام لفرنسا بالجزائر منذ 20 أوت 1815 إلى 11 جوان 1827، وأعتبر من قبل عدة مؤرخين من أسباب القطيعة للعلاقات الجزائرية – الفرنسية، توفي سنة 1829 بفرنسا، أنظر: Colonel Godchot , les trois coup de chasse mouche du dey d'Alger, La Revue politique et littéraire : revue des cours politique et littéraires « revue bleue », Germer Baillière (Paris), 68eme année, N°1 1930, p 455.

[4] - B.de Penhoen, mémoires d'un officier d'état-major, Librairie charpentier, Paris, 1832, p42.

وجاء في جريدة مونيتور (Moniteur) الفرنسية ذرائع أخرى تحججت بها فرنسا لاحتلال الجزائر، منها أن الداي حسين أعطى حرية صيد المرجان على الساحل الجزائري للصيادين من كل الأجناس، وبذلك إنهاء الاحتكار الفرنسي لهذا النشاط منذ سنة 1826، وقام بفتح التجارة الحرة أمام أوروبا بأكملها، وأمر بتفتيش المؤسسات التجارية الفرنسية في الشرق الجزائري، كما أنه سبق وأن رفض الاستجابة للوفد الذي ذهب إليه باسم مؤتمر إكس لاشبال[1].

ثانيا: الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر:

اعتمادا على تقرير بوتان السالف الذكر استعدت القوات الفرنسية للشروع في تنفيذ الغزو العسكري بعد حصار بحري على مدينة الجزائر خلال الفترة الممتدة من 16 جوان 1827 إلى 14 جوان 1830 [2]؛ وإلى جانب التحضير المادي والعسكري للحملة، قامت فرنسا بعدة نشاطات دبلوماسية، حيث سعت إلى إقناع بعض الدول الأوربية، وحتى الدول المجاورة للجزائر كتونس وطرابلس والمغرب، وأيضا الدولة العثمانية، وبطرق سرية قامت برصد ردود فعل السكان وشيوخ القبائل وفي عدد من المدن كوهران و قسنطينة وغيرها[3].

اختلفت المصادر في تقدير تكوين الحملة العسكرية الفرنسية، لكن أغلبها أشار إلى وجود 37 ألف جندي و17 ألف بحار و103 سفينة حربية، إضافة إلى عدد كبير من السفن التجارية المستأجرة لحمل الجنود والمؤن[4].

بدأ انزال قوات الجيش الفرنسي فعليا بسيدي فرج يوم 14 جوان 1830 وسرعان ما وجدت مقاومة من الحاميات الجزائرية في المنطقة، ولتنظيم المقاومة وقيادتها كلف الداي حسين صهره إبراهيم آغا، وكان رجلا قليل الخبرة والحيلة غير مؤهل لهذا المنصب، حيث لم يقدر على جمع إلا بضعة ألاف من الناس، ومن حضروا من قسنطينة لم يتجاوز الخمسمائة فارس وأربعمائة رجل[5] ولم يتمكن باي التيطري من جمع سوى ألف مقاتل، وأرسل باي وهران عددا قليلا من الجنود تحت قيادة خليفته، وحسب المصادر الفرنسية كان سلاح الجنود الجزائريين عبارة عن بندقية طويلة بدون حربة وسيف تركي أو خنجر[6].

---

[1] - Le Moniteur Algérien, journal officiel de la colonie, N° 660, 13eme Année, Paris , 30 Novembre 1844.

[2] – عمار هلال، أبحاث وآراء ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص36-40.

[3] - B.de Penhoen, Opcit, p42.

[4] – صالح فوكوس ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830-1925)، منشورات جامعة قالمة، الجزائر، 2010، ص12.

[5] – مذكرات أحمد باي، تحقيق محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1971، ص11.

[6] - Penhoen. B, Ibid, p160.

وقعت أول معركة بين قوات جيش الاحتلال الفرنسي والجيش الجزائري المقدر بـ 40 ألف محارب في السطاوالي يوم 19 جوان 1830، انهزم الجيش الجزائري في هذه المعركة وتكبد خسائر قدرت ما بين 4 و5 آلاف جندي، بينما أحصى الفرنسيون خسائرهم بـ 57 قتيل و 476 جريح [1].

وبعد هذه معركة سقط حصن مولاي الحسن بيد الجيش الفرنسي، وأمام تواصل تقدمه وسيطرته على القلاع والحصون أصدر الداي قرار وقف إطلاق النار، وأرسل سكرتيره الخاص سيدي مصطفى إلى القائد العام للجيش الفرنسي للتفاوض[2]، وتم التوقيع على معاهدة نصت على تسليم قلعة القصبة وكل القلاع الأخرى التابعة لمدينة الجزائر، وكذا موانئ المدينة إلى القوات الفرنسية يوم 05 جويلية 1830 على الساعة العاشرة صباحا، وبموجب بنود المعاهدة يلتزم القائد العام للجيش الفرنسي لداي الجزائر بأن يترك له حرية امتلاك كل ثرواته الشخصية والاحتفاظ بها، وهو حر في المغادرة مع عائلته إلى الوجهة التي يحددها[3].

[1] – حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تح: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص192؛ Lesur C-L, Annuaire Historique pour 1830, Librairie Thoinier, Paris, 1832, p86.

[2] - Lesur C-L, Ibid, p96.

[3] - Deprez, F-A, Journal d'un officier de l'armée d'Afrique, Paris, 1831, p184-185.

المحاضرة الثانية

ظهور المقاومة الشعبية (1)

أنواع المقاومة الشعبية ومظاهرها

بعد استسلام الداي وجيشه ودخول الاحتلال الفرنسي مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830، ظنّ الفرنسيون بأن البلاد الجزائرية أُخضعت، لكن هذا لم يحدث، فلم يستطيعوا احتلال مدينة عنابة الساحلية إلا بعد الحملة الثالثة في مارس 1832، ولم يفلحوا في احتلال مدينة وهران بشكل كامل إلا في 13 أوت 1833[1]، فمن أخذ لواء المقاومة ومحاولة منع الاحتلال من التوغل في باقي مناطق البلاد؟ وكيف يسمى هذا النوع من المقاومة؟ وما هي أنواعها وأشكالها؟

أولا: نهاية المقاومة الرسمية وبداية المقاومة الشعبية:

يمكن تعريف المقاومة لغة على أنها مجابهة القوة بالقوة[2]، ومعناها الممانعة ورفض الرضوخ لتغيرات وقوى أجنبية مفروضة من الخارج[3]، وتعني الوقوف في وجه الاعتداء والطغيان والاضطهاد[4]، فهي عبارة عن رد فعل سياسي أو عسكري يعبر عن عدم قبول التدخل الأجنبي أي مقاومة العدو ومنعه من السيطرة على الأرض أو الوطن.

وتمثلت المقاومة بالجزائر ضد الاحتلال الفرنسي بداية في مقاومة جيش الداي حسين بعد الانزال مباشرة في 14 جوان 1830 بسيدي فرج إلى غاية الاستسلام في 05 جويلية 1830، وهو ما اصطلح على تسميته **بالمقاومة الرسمية**، أي أنها تمثل السلطة الحاكمة الرسمية، وهناك من يعتبر أن مقاومة أحمد باي (1830-1848م) نوع من المقاومة الرسمية لأنه يمثل السلطة الحاكمة حتى بعد زوالها نظرا لبقائه على اتصال بالدولة العثمانية ورفعه شعار المقاومة باسمها كما سيأتي تفصيله لاحقا، لكننا نرى أن مقاومة أحمد باي غير رسمية لعدة اعتبارات أهمها أن أغلب مكونات جيش أحمد باي كان من القبائل والأوساط الشعبية.

---

[1] - Paul Azan, l'Armée d'Afrique de 1830 à 1832, Paris, 1901, P.62-63.

[2] - صبحي حمودي ، المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، دار المشرق ، بيروت ، 2001 ، ص 120.

[3] - يوسف محمد رضا ، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة ، ط1، مكتبة ناشرون ، بيروت، 2006 ، ص 152.

[4] - عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة، ج1 ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، بيروت ، 1976، ص 846.

ومباشرة بعد نهاية المقاومة الرسمية واستسلام الداي حسين والسلطة التابعة له، أخذ لواء المقاومة زعماء القبائل وشيوخ الزوايا وبعض الشخصيات، ومع غياب السلطة الرسمية سميت هذه المقاومة **بالمقاومة الشعبية**، على أن أغلبية رجالها من صفوف الشعب، وانقسمت بدورها إلى عدة أنواع حسب أسلوبها: **مقاومة سلمية** و**مقاومة مسلحة** وحسب تنظيمها إلى: **مقاومة منظمة** و**مقاومة غير منظمة**، وذلك حسب المرحلية وحسب الزمان والمكان والظروف المحيطة، واختلف المؤرخون والمحللون في تعريف ووصف كل نوع وفروعه، لكن يمكن إجمال ذلك فيما يلي:

ثانيا: أنواع المقاومة الشعبية ومظاهرها:

1- المقاومة الشعبية المسلحة:

من تسميتها يظهر أنها مقاومة شعبية تعتمد على السلاح بأنواعه، التقليدية من سيوف وذروع وحراب ورماح وحتى بعض الأدوات الفلاحية كالفأس، والتي كانت القبائل تدرب عليها شبابها ورجالها وحتى أطفالها ونسائها، هذا إضافة إلى الأسلحة الحديثة خاصة منها البنادق وفي بعض المقاومات المنظمة تم استعمال المدافع، والمقاومة الشعبية المسلحة هي أكثر مظاهر المقاومة شيوعا وانتشارا بما أن الاحتلال الفرنسي كانت لغته الوحيدة هي عنف السلاح، وبالتالي لابد من الرد على القوة بالقوة المماثلة.

وتنقسم المقاومة الشعبية المسلحة كذلك إلى أنواع، منظمة وغير منظمة أو العفوية، ويمكن اعتبار المقاومة في معناها الخاص وليس العام كما سيأتي ذكره لاحقا، وكذلك **الثورة** من أنواع المقاومة المسلحة المنظمة، بينما يمكن اعتبار **الانتفاضة** نوع من المقاومة المسلحة الغير منظمة أو العفوية، على اعتبار أن المقاومة في معناها الخاص لا تعني الثورة ولا تعنيان الانتفاضة لأن لكن معنى خاص، وهذا ما سنبينه كالتالي:

في الغالب هناك خلط عند الدارسين وحتى بين الباحثين في توظيف مصطلحات: مقاومة، ثورة، وانتفاضة، للدلالة على معنى واحد، دون التدقيق في استعمال هذه المصطلحات، فنجد في العديد من المرات مثلا تسمية ثورة المقراني أو انتفاضة المقراني، وأحيانا مقاومة المقراني، حتى أن هذه المصطلحات تتواجد أحيانا في نفس الدراسة وكأن لها نفس المعنى، بينما كل واحد يختلف عن الآخر في المدلول بعد التدقيق في المعاني[1].

[1] – عبد القادر جيلالي بلوفة ، المقاومة الشعبية الجزائرية: قراءة تاريخية في أسباب حدوثها وعوامل تواصلها (1830-1916)، مجلة الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارية، العدد 18، 2013، ص 46.

أكيد أن مصطلح المقاومة (Résistance) هو الأشمل والأعم حسب التعريف الذي أدرجناه سابقا، وهو ينطبق على أي أسلوب في مواجهة الاحتلال، إلا أن المقاومة تعني بشكل خاص ودقيق: رفض التدخل الأجنبي ومقاومة العدو ومنعه من السيطرة على أرض يملكها أو يسيطر عليها المقاوِم صاحب الأرض الأصلي، وينطبق هذا التعريف الدقيق على أغلب المقاومات الشعبية المسلحة في الجزائر في المرحلة الأولى للاحتلال الفرنسي ومحاولة التوغل من الساحل إلى الداخل، أي مرحلة مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي، اللذان حاولا منع الاحتلال الفرنسي من السيطرة على مناطق تحت سلطتهما، الأمير عبد القادر في الغرب وأحمد باي في الشرق.

وهذا يختلف عن مصطلحي الثورة (revolution) والانتفاضة (soulèvement)، أو كما جاءت في المصادر الفرنسية تحت مصطلح التمرد (insurrection)، بالأخص كتابات ضباط الجيش الفرنسي، والتي تتفق في مجملها مع التعريف الذي جاء به أحد الضباط الفرنسيين في كتابه لمصطلح التمرد بأنه: "ثورة منطقة أو بلد على الهيئة الحاكمة بالكلمات أو بالحركات والأفعال"[1]، وفي مفهوم أدق يبين وجهة نظرنا يُعرّف أحد التقارير الفرنسية حول ثورة الأوراس 1916 مصطلح التمرد (الثورة والانتفاضة) على أنها: "ثورة ضد السلطة الحاكمة، وهي فقط في الجزائر تلك الثورات المسلحة التي ظهرت عندما أصبحت معظم أرض الجزائر (يعني الشمال) تحت سيطرة فرنسا بعد إنهاء مقاومتي الأمير عبد القادر في الغرب وأحمد باي في الشرق 1847-1848".[2]

والملاحظ كما قلنا أن المؤرخين الفرنسيين وحسب اللغة فرنسية يجمعون في المعنى بين الثورة والانتفاضة في مصطلح واحد وهو: التمرد، رغم أنهما كذلك لا يعنيان نفس الشيء.

فالثورة في معناها العام تغيير كلي في مجال من المجالات وانقطاع مفاجئ وأحيانا عنيف في استمرارية حال من الأحوال، فنقول ثورة ثقافية لتغيير ثقافة الشعوب، وثورة علمية لتجديد العلوم ... [3]؛ وذلك باستعمال أدوات مختلفة، مثل الآلات والتكنولوجيا أو العمل المسلح بالنسبة للثورة الشعبية المسلحة، أو من خلال شخصيات قيادية تاريخية لتحقيق طموحات الشعوب لتغيير نظام الحكم العاجز عن تلبية هذه الطموحات[4].

---

[1] - Un ancien officier de l'armée d'Afrique, L'Algérie devant l'assemblé national « causes des insurrections algériennes », Versailles Muzard Libraire, Paris, 1871, p08.

[2] - Archives de la Wilaya d'Alger, Bibliothèque, cabinet du gouvernement général de l'Algérie, les troubles insurrectionnels de l'arrondissement de Batna 1916, pp 369-370.

[3] – مؤلف جماعي ، الموسوعة العسكرية ، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1981، ص359.

[4] – عبد القادر جيلالي بلوفة، المرجع السابق، ص 47.

أما الانتفاضة فهي حركة شعبية عفوية غير منظمة تقوم بها مجموعة من الناس معبرة من خلالها عن رفضها لقرار أو إجراء اتخذته السلطة الحاكمة، أو هي تحرك عفوي يمكن أن يكون عنيفا للجماهير الشعبية الريفية، بقيادة زعامات دينية أو مدنية أو عسكرية، وظهر هذا الأسلوب في القرنين 19 و20م[1]؛ ويمكن تعريفها على أنها حركة تمرد جماعية موجهة في الغالب ضد الظلم بمختلف أشكاله السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهي لا تصل إلى درجة الثورة[2]، وتتصف الانتفاضة في غالبيتها بالظرفية والعفوية وقلة التنظيم وقلة الفاعلية وقلة الاتساع مقارنة بالثورة.

ويجب الاعتراف أنه رغم الفوارق الواضحة والدقيقة بين معاني المصطلحات الثلاث: المقاومة، الثورة والانتفاضة إلا أنه يوجد صعوبة في تطبيق هذا التصنيف والتفريق بين المصطلحات بمعناها الحقيقي والعميق بالنسبة لكل المقاومات الشعبية في الجزائر بسبب خصوصية وظرفية ومكانية وزمانية كل واحدة، إلا أنه يمكن تطبيقه على معظمها، ولهذا فإنه وخلال محاضراتنا سنستعمل مصطلح المقاومة بشكل أكبر، وعندما يكون المعنى واضح ومناسب نستعمل مصطلحي الثورة أو الانتفاضة.

وبهذا يمكن القول أن أغلب المقاومات الشعبية المسلحة بمعناها الخاص الدقيق أي التي كانت تحاول منع الاحتلال الفرنسي من السيطرة على أراضي تابعة لها (على رأسها مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي) وأغلب الثورات الشعبية المسلحة التي ثارت على سلطة الاحتلال (في مقدمتها ثورتي أولاد سيد الشيخ والمقراني)، هي من نوع المقاومات المنظمة، أما الانتفاضات الشعبية المسلحة في غالبيتها هي غير منظمة وعفوية (مثل انتفاضتي عين تركي 1901م وعين بسام 1906م)

2- المقاومة الشعبية السلمية:

هي مقاومة شعبية أولا لأنها خارج مرحلة المقاومة الرسمية التي مثلتها السلطة العثمانية في الجزائر وكانت بقيادة شخصيات مستقلة أو زعامات وبمشاركة عامة الشعب، ثم هي سلمية عكس المسلحة، أي أنه لا يستعمل خلالها العنف بمختلف أنواعه، وهي كذلك عدة أنواع، أشهرها: **المقاومة الشعبية السلمية السياسية، المقاومة السلمية الاقتصادية** و**المقاومة السلمية الثقافية** و**المقاومة الشعبية السلمية السلبية**، وكلها تزامنت مع

[1]- أحمد عبيد، التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية (الجزائر ، تونس ، المغرب)، ابن النديم للنشر والتوزيع ، الرباط ، (د.ت) ، ص 61-65.

[2]- البخاري حمانة ، فلسفة الثورة الجزائرية، دار الغرب للنشر ، وهران ،2010 ، ص41.

المقاومات الشعبية المسلحة، وسنحاول التعريف بكل نوع فيما سيأتي، وتجدر الإشارة هنا أن هاته الأنواع من المقاومات الشعبية السلمية استعملها في بعض الأحيان بعض قادة المقاومة المقاومات الشعبية المسلحة، خاصة المقاومة الاقتصادية كالحصار الاقتصادي والمقاطعة الاقتصادية لسلع العدو، والمقاومة السياسية من خلال استعمال الجواسيس وانتهاج المفاوضات وعقد المعاهدات والبحث عن الأحلاف الداخلية والخارجية عبر المراسلات.

المقاومة السلمية السياسية ظهرت مباشرة بعد احتلال مدينة الجزائر، مطالبة القوات الفرنسية باحترام بنود معاهدة الاستسلام بينها وبين الداي حسين في 05 جويلية 1830، بعد انتهاكات واضحة من سوء معاملة السكان والاستيلاء على ممتلكاتهم وأراضيهم، وسرقة أموال وممتلكات الأوقاف، والاعتداء على الحرمات والمقدسات الدينية وغلق المدارس ومنع المجالس العلمية، وحبس العلماء أو نفيهم، ثم تطور الأمر إلى انتهاج سياسة الإبادة والتقتيل، وهذا ما جعل بعض أعيان وعلماء مدينة الجزائر يدخلون في مقاومة سلمية سياسية مع سلطة الاحتلال، وكانت في مجملها عبارة عن نقل لمطالب الشعب وشكاويهم وتذمرهم من سياسة الحكم الفرنسي في الجزائر [1]، وأخذت طابعها السياسي من خلال تأليف اللجان وتنظيمها والتي كانت تقدم المطالب في شكل عرائض، والكتابة في الصحف ومراسلة بعضهم لتنظيم المقاومة والتخطيط لها[2]، ثم مراسلة مختلف السلطات الفرنسية والأجنبية في الداخل والخارج.

وقسم المؤرخ أبو القاسم سعد الله هذا النوع من المقاومة إلى ثلاثة تيارات سياسية ودعاها "أحزابا"، الحزب الوطني ويضم شخصيات تنظر للداخل، وتعمل للصالح العام ومحاولة تحرير البلاد، والحزب الثاني هو الحزب العثماني، ويهدفون كذلك إلى تحرير البلاد لكن تحت لواء الحكم العثماني، وأما الحزب الثالث، فقد ارتبطت مصالحه بمصالح الاحتلال، رأى سعد الله أن هذا الحزب غير واضح المعالم لا من حيث الشخصيات ولا من حيث البرامج، ووضع أحمد بوضربة على رأس الحزب الوطني، أما محمود ابن العنابي[3] وعثمان خوجة فهم رواد الحزب العثماني، ومصطفى ابن الحاج عمر وغيره ضمن الحزب الفرنسي[4].

---

[1] – نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990، ص11.

[2] – إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية الجزائرية، دار مدني للنشر والطباعة، الجزائر، 2008، ص13.

[3] – **محمد بن العنابي** (1775–1850م): فقيه حنفي وقاض وباحث، من أوائل دعاة الإصلاح والتجديد في ق19، نفي خارج الوطن أشهرا قليلة بعد الاحتلال بسبب مواقفه المعارضة لسلطات الاحتلال، استقر بالاسكندرية، ولاه حاكم مصر محمد علي باشا وظيفة الفتوى الحنفية بها، توفي هناك سنة 1850؛ أنظر: سعيد بورنان، رواد المقاومة الوطنية في القرن التاسع عشر، ط2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص46.

[4] – أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص ص 103–104.

أما **المقاومة السلمية الاقتصادية** والتي اقتصرت عند عامة الشعب على مقاطعة سلع ومنتوجات الاستعمار فلم تكن منظمة وممنهجة، ولم تكن منتشرة بشكل كبير مثل بقية أنواع المقاومات الشعبية السلمية وذلك بالنظر إلى انتشار الفقر والمجاعة وضرورة الاعتماد في غالبية الأحيان على موارد الاستعمار الغذائية خاصة في المدن، وهناك نهج آخر من المقاومة السلمية الاقتصادية وهو الحصار الاقتصادي الذي انتهجه بعض قادة المقاومات الشعبية المسلحة خاصة الأمير عبد القادر كما سيأتي ذكره لاحقا.

وهناك نوع من المقاومة السلمية يظهر من خلال مقاطعة مشاريع الاحتلال وسياسته وإدارته لأحوال الجزائريين التي تهدف إلى القضاء على الهوية والعادات والتقاليد والكيان الجزائري ومقوماته، أو تشويهه، ومنها ما كان يسميه المحتل التمدن والتحضر، ورفضوا الاندماج وحملات التنصير، وقاطعوا اللغة الفرنسية ومدراسها وعاداتها وتقاليدها من أجل الحفاظ على شخصيتهم الجزائرية في صورة من صور **المقاومة الشعبية السلمية الثقافية**[1].

وتجلت كذلك مظاهر هذا النوع من المقاومة الشعبية السلمية في أبسط الأشياء كشخصية المداح الذي كان يردد هتافات وأشعار حماسية في الأسواق العامة والمقاهي والشوارع وخلال المناسبات الدينية والاحتفالات الشعبية، وهي عبارة عن قصائد وأقوال تندد بالاحتلال وتدعوا إلى مقاومته بكل الوسائل[2]، أو تدعو على الأقل إلى الحفاظ على الهوية والمقومات والتذكير بالبطولات وتاريخ وتقاليد بعض المناطق.

وأظهر الشعب الجزائري مقاومة السلمية من نوع آخر أكثر عفوية من خلال الرفض العفوي للوجود الأجنبي وأسلوبه في الحياة الاجتماعية من أكل ولباس، وحتى رفض التطبيب والتمنيع عن اللقاحات والمساعدات الطبية والغذائية، ورفض تطبيق أوامر السخرة والعمل لدى المستوطنين وإدارة الاحتلال، وهذا ما سمّاه بعض المؤرخين **بالمقاومة السلمية السلبية**، بالنظر إلى أن تأثيرها غير مادي مثل المسلحة، ولا تظهر آثاره بشكل واضح، وهي غير منظمة مثل السياسية وأقل تنظيما من الاقتصادية والثقافية.

[1] – محمد الطيب العلوي، محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830–1954، ط3، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر (د.ت)، ص 22.

[2] – نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص 12.

المحاضرة الثالثة

ظهور المقاومة الشعبية (1)

أسباب المقاومات الشعبية في الجزائر

لكل مقاومة أو ثورة أو انتفاضة أسبابها الخاصة، لكنها في أغلب الأحيان تشترك في أسباب عامة، شملت جوانب مختلفة سياسية، عسكرية، اقتصادية، دينية واجتماعية؛ لكن ما هي الأسباب الحقيقة لقيام المقاومات الشعبية؟ وما هي مختلف آراء المؤرخين الفرنسيين وخاصة منهم ضباط الجيش الفرنسي في ذلك؟

أولا: الأسباب الدينية:

يكاد يتفق أغلب المؤرخين ومنهم ضباط الجيش الفرنسي في كتاباتهم أن الأسباب الدينية في مقدمة أسباب بداية المقاومة الشعبية المسلحة واندلاع الثورات والانتفاضات الشعبية، وذلك بسبب كثرة الزوايا وتوجه شيوخها الذين كانوا يمثلون المرجعية الدينية في الجزائر[1]

حيث جاء في كتاب أحد الضباط الفرنسيين المعاصرين للمقاومات الشعبية ما يلي: «الإسلام دينٌ ينمّي حب الوطن، والوطنية لا تنتهي عند العربي بمجرد طرده من أرض وطنه، فهي تبقى دائما بداخله باتباعه لتعاليم الاسلام والقرآن الكريم، هذه قوة استثنائية لا يجب إيقاظها داخل العربي المسلم"[2]؛ ويقول لويس رين (L.Rinn) وهو ضابط مختص في شؤون المكاتب العربية أن "تعاليم الدين الاسلامي والقرآن الكريم هي دائما سبب لقيام وتواصل المقاومات الشعبية"[3].

وقد ارتبط هذا التأثير الديني على بداية المقاومة الشعبية المسلحة بالطرق الصوفية والزوايا وزعمائها الدينيين، فقد اعتبرتها الإدارة الاستعمارية جماعات دينية ذات مآرب سياسية سرية [4]؛ والزوايا رغم غموض تنظيمها

---

[1] - Corneille Trumelet, Histoire de l'insurrection des Ouled Sidi Ech-chikh (sud Algérie) 1864-1880, Seconde partie, Adolphe Jordan Libraire-Editeur, Alger, 1884, p03.

[2] - Colonel Noillat, L'Algérie en 1882, librairie militaire de J.Dumain, Paris, 1882, p116.

[3] - Louis Rinn, Marabouts et Khouans, Etude sur L'islam en Algérie, Adolphe Jourdan Libraire-Editeur, Alger 1884, p510.

[4] - شارل روبير أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1870-1919)، دار رائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص549.

بالنسبة للفرنسين أصبحت تشكل الخطر الأكبر بالنسبة لهم بعدما تحولت من مكان لتحفيظ القرآن إلى مراكز للثورات عليهم [1].

وتجلى ذلك في العديد من خطابات قادة المقاومة الشعبية المسلحة وهم في غالبيتهم شيوخ زوايا وطرق صوفية، ومنها ما جاء في خطاب الأمير عبد القادر مباشرة بعد مبايعته حين قال: "لن آخد بقانون غير القرآن الكريم، ولن يكون مرشدي غير تعاليم القرآن"[2]، وجاء في رسالة سي سليمان أهم قادة ثورة أولاد سيد الشيخ وهو يدعو إلى حمل السلاح للجهاد في سبيل الله:"...مني إليكم باتفاق جماعتنا بشرى بإعلان الجهاد في سبيل الله وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضد الكفار الفاسقين الفرنساويين لعنهم الله، الذين صالوا علينا وتعدوا وشرعوا في إهانة ديننا الحنيف لا أراد الله بعدما فسقوا في أرضنا وأحلوا ما حرم الله فها نحن رفعنا الراية المحمدية وبشّرنا كل مسلم بالجهاد راجين من المولى سبحانه وتعالى أن ينصرنا على الكفار المخزين وراجين منكم ومن ناسكم أن ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)**﴾ (الأنفال:60)..."[3].

من جهة أخرى استغل بعض المرابطين الحافز الديني من جوانب خاصة من شأنها أن تستلهم مشاعر عامة الناس كمسألة المهدية، حيث ادعى بعض رجال الصوفية وبعض قادة المقاومات الشعبية المسلحة أنهم المهدي المنتظر، ومنهم الشريف محمد بن عبد الله الذي قال أنه "صاحب الساعة" الذي بعثه الله والرسول والسلطان العثماني لتخليص البلاد من الأعداء الكفار، وأنه حان الوقت ليقوم ويقود الثورة ضد الفرنسيين المسيحيين[4].

وفي بعض مراحل المقاومات الشعبية وبالضبط التي تزامنت مع ثورة الشيخ بوعمامة وما بعدها نسبت بعض أسبابها إلى دعوة جمال الدين الأفغاني الإصلاحية الدينية وحركة السلطان عبد الحميد الداعية للم شمل المسلمين في إطار الجامعة الإسلامية [5].

---

[1]- صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد (1844-1871)، منشورات جامعة باجي مختار، 2007، ص09.

[2]- شارل هنري تشرتشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص58.

[3]- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1: ثورات القرن 19م، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص179.

[4]- نفسه، ص82

[5]- نفسه، ص 301

وخلاصة الأمر أن الوجود الفرنسي بالجزائر كمحتل سبب ديني كاف بالنسبة للشعب الجزائري حتى يتخذ خيار المقاومة، وببساطة لأن وجوده يعني احتلال دولة كافرة لأرض مسلمة فيها شعب مسلم أظهر عبر التاريخ تعلقه بالدين الإسلامي وتعاليمه ورفض ومقاومة كل الأجناس الغازية لبلاده.

ثانيا: الأسباب السياسة والعسكرية:

أول سبب رئيسي سياسي لانطلاق المقاومة الشعبية المسلحة هو فشل المقاومة الرسمية، فالسلطة العثمانية في الجزائر أظهرت ضعفا فادحا في مواجهة الاحتلال، ولم يكن لجيشها خطة عسكرية دفاعية واضحة ولم تتخذ الاحتياطات اللازمة لوقوف في وجه الحملة الفرنسية، أكثر من ذلك سارعت إلى قبول الاستسلام بعد أول هزيمة حفاظا على سلامة الداي وعائلته وممتلكاته وأتباعه، وسلّمت البلاد للجيش الفرنسي الذين استباح الأعراض ونهب الممتلكات العامة والخاصة وخرّب وحرق وارتكب مجازر جماعية، الأمر الذي جعل الجزائريين يدافعون عن أنفسهم وعن أعراضهم وممتلكاتهم، وكان هذا بداية للمقاومات الشعبية المسلحة والسلمية.

ومن جهة أخرى يرى العديد من المؤرخين أن السياسة الاستعمارية في الجزائر من قرارات قوانين تعسفية واستفزازية تسببت في غضب السكان وتبنيهم لخيار المقاومة العسكرية، وفي ذلك يقول النقيب كويبل (Coipel) وهو أحد ضباط الجيش الفرنسي المشارك في العمليات العسكرية ضد المقاومة :"... كما أننا بالتقليل من احترامهم واحتقارهم تسببنا في تحريضهم ضدنا ليثوروا علينا... ألم نعطهم الوعود في الاتفاقية بين دي بورمون والداي حسين في 05 جويلية 1830، لكننا لم نلتزم باحترام الحريات والقوانين والتقاليد والممتلكات... وكيف نسميهم أهالي وهم لا يتمتعون بأبسط الحقوق المدنية.. "[1]

ويلخص ضابط فرنسي آخر بعض الأسباب خاصة السياسية لثورة 1871 مثلا فيقول :"إن الجزائريين يحترمون عهودهم وعقودهم مع فرنسا، فقد دفعوا بأبنائهم للقتال معها ضد بروسيا لكن مع مجيء النظام المدني أصبحت أراضيهم وممتلكاتهم ومعتقداتهم في خطر نظرا لتعصب المستوطنين الأوربيين الذين طردوهم من المجالس

[1] - Capitaine Coipel, le recrutement des indigènes d'Algérie, librairie militaires R.Chapelot, Paris, 1910, p 3-5.

النيابية وأنهوا مشاركتهم في الحكم وتسيير شؤونهم، وزاد قانون تجنيس اليهود في تعقيد الأمور حيث أعطى حق المواطنة لهم ورفع من شأنهم على العرب..." [1]

ويرى بعض المؤرخين خاصة الفرنسيين أن ضعف مبدأ الإدارة الفرنسية للجزائر والتغيرات الحاصلة فيها كل مرة، أي تغير النظام في فرنسا من الملكي إلى العسكري إلى المدني، ما ينعكس على النظام في الجزائر، وذلك يؤدى في كثير من الأحيان إلى قيام الثورات الشعبية فيها، خاصة وأن هذه القوانين هي دائما ليست في صالحهم[2].

ومثال ذلك سوء سياسة المكاتب العربية اتجاه السكان حيث يؤكد أحد الضبط الفرنسيين في كتابه أن الثورات الشعبية بعد مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي تنتشر في المناطق التي تديرها المكاتب العربية، وهذا دليل على أنها تساعد على تفجيرها، وخير دليل ثورة أولاد سيد الشيخ 1864 التي اندلعت في المناطق العسكرية بعيدا عن القرى والمدن والمزارع الأوربية[3]، حيث تم تغيير ضباط المكاتب العربية في هذه المناطق وهم من القدماء ذوو الخبرة في معاملة السكان بآخرين جدد لا يعرفون طبيعة البلاد وسكانها[4]؛ وفي ذلك ويؤكد سي عزيز أحد قادة ثورة المقراني والشيخ الحداد سنة 1871 في رسالة بعثها إلى حاكم بجاية بتاريخ 14 جوان 1871 أدرجها في مذكراته أن السلوك السيء لضباط المكاتب العربية والموظفين اتجاه الأهالي خاصة الشخصيات الدينية من الرحمانيين حين نقلوا عنهم أخبار مزيفة للإدارة وكذلك قيامهم بتخريب وتحطيم الممتلكات عن غير وجه حق ودون رأفة، هذا ما دفع الأهالي إلى الانضمام إلى صفوف الثوار[5].

ومن الأسباب العسكرية أن بداية مقاومة شعبية عسكرية ما أو نهايتها يكون سببا في انطلاق غيرها في الكثير من الأحيان، حيث يستغل بعض قادة القبائل انشغال القوات الفرنسية في إخماد بعض الثورات من أجل إشعال أخرى، كما يستغلون الأوضاع السياسية والعسكرية لفرنسا الداخلية والخارجية ليعلنوا تمردهم، وعن ذلك يذكر الجنرال هيربلون (Herbillon) أن الشيخ بوزيان خطط لبداية ثورته في واحة الزعاطشة عام 1849

---

[1] - Louis Serre, Les arabes martyrs : études sur l'insurrection de 1871 en Algérie, Elachaud editeur, Paris, 1873, pp30-31.

[2] - Un ancien officier de l'armée d'Afrique, L'Algérie devant l'assemblé national: causes des insurrections algériennes, Versailles Muzard librairie, Paris, p8.

[3] - Paul Blanc, L'Insurrection en Algérie, Imp de L'Akhbar, Alger, 1864, p2.

[4] - يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 176.

[5] - Si Azziz, Mémoire d'un accusé Si Azziz Ben Mohamed Amezian Ben Cheikh El-Haddad à ses Juges et ses Défenseurs, Constantine, Marl, 1873, p 81-84.

مستغلا انشغال جزء كبير من القوات الفرنسية في اخماد ثورات سكان زواغة وفرجيوة بالبابور وثورات بني حساين وبني رزيق وغيرهم؛ ومستغلا الثورة الفرنسية التي أنهت النظام الملكي الدستوري في فرنسا[1]، وتزامنت ثورة المقراني والشيخ الحداد سنة 1871 مع الحرب الفرنسية البروسية، وثورة الشيخ بوعمامة سنة 1881 مع انطلاق الحملة الفرنسية على تونس[2]، والأكيد أن هذه الأحداث تشغل عددا كبيرا من قوات الجيش الفرنسي مما يشجع الجزائريين على القيام بالثورات، وهذا يصّعب مهمة القضاء عليها، ويفسر أحد ضباط الجيش الفرنسي تأثير ذلك عسكريا بأنه "يفقد مبدأ الضربة السريعة الفعالة في بداية الثورة مما يؤدي إلى انتشارها"[3].

وارتبطت بعض الثورات الشعبية المسلحة بتدخلات وإيعازات من قوى أو جهات أجنبية، وبعضها محض افتراء، حيث تم اتهام المقراني والشيخ الحداد ومعهم محي الدين ابن الأمير عبد القادر بعمالتهم للبروسيين الألمان ثم الدولة العثمانية، واتهموا آخرين بعمالتهم للإنجليز منافسيهم في النشاط الاستعماري، وارتبط الشريف بوشوشة وبن ناصر بن شهرة والشريف محمد بن عبد الله بالحركة السنوسية[4]، كما ادعى الجنرال لاباسي أن مبعوثي تركيا الذين ينشطون في الدعاية ضد فرنسا بطرابلس الغرب كانوا سببا في ثورة سي الأزرق بالجزائر سنة 1864[5].

هذا بالرغم من أن بعض المقاومات الشعبية كانت فعلا تأمل في دعم خارجي أجنبي مهما كانت طبيعته، خاصة من الدولة العثمانية والذي كان أحيانا مجرد وعود أو إشاعات، لكن هذه الوعود كانت بشكل أو بآخر سببا ودافعا في اندلاعها، فمن أسباب مقاومة أحمد باي في قسنطينة مثلا تطمينات الباب العالي بإرسال المساعدات العسكرية، حيث طلب السلطان العثماني محمود الثاني عن طريق رسالة من وزيره رؤوف باشا من الحاج أحمد أن يثبت في مقاومته ويتجنب عقد الصلح مع الفرنسيين ووعده بإرسال النجدة العسكرية، لكن الحاج أحمد ألح في تعجيلها حتى يتمكن من الصمود ولا يستسلم[6].

---

[1] - Emile Herbillon, Insurrection survenue dans le sud de la province de Constantine en 1849, relation de de siège de Zaaticha, Librairie militaire, Paris, 1863, p 11-13.

[2] - Henri Garrot, Histoire Général de l'Algérie ; Paris, 1910, p 997-998.

[3] - Un ancien officier de l'armée d'Afrique, Opcit, Ibid, pp 7-8.

[4] - يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص28

[5] - Un Ancien Officier de l'Armée du Rhin, Le Général Lapasset 1817-1864, T1,P 12-15.

[6] - مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، تر: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1973، ص 29-32.

ثالثا: الأسباب الاجتماعية

ادعى الاحتلال الفرنسي أن من أهداف حملته العسكرية على الجزائر نشر الحضارة وتخليص الشعب الجزائري من الجهل والتخلف الذي كانوا يعيشونه في ظل الخلافة العثمانية حسب زعمها، ورفع شعارات الادماج والمساواة في الواجبات والحقوق، لكن الواقع كان غير ذلك حيث سرعان ما أدرك الشعب الجزائري حجم الفوارق الاجتماعية بينه وبين المستوطنين ومحاولات استئصال هويته العربية والإسلامية وطمس تقاليده لخدمة المصالح الاستعمارية وهذا أكيد يجعله يتخذ خيار المقاومة والثورة في وجه الإدارة الاستعمارية ومشاريعها.

ولعل أهم الأسباب التي جعلت الجزائري يرفض الأسس الاجتماعية التي حاول الاستعمار فرضها عليه تمسكه بالدين الإسلامي كما سبق ذكره وكذلك بتقاليده التي اكتسبها ضمن منظومة القبيلة بما أنه كان في قطيعة اجتماعية مع نظام الحكم العثماني في الجزائر سابقا، ولهذا اعتبر العديد من ضباط الجيش الفرنسي في تحليلاتهم أنه يجب إعادة النظر في نظام القبيلة ككيان سياسي اجتماعي لأن تضامن أفرادها فيما بينهم أو مع غيرهم من قبائل أخرى تجمعهم بهم أواصل قرابة أو طرقية هو الذي يغذي التمرد، لدى اقترح بعضهم تفكيكها والسيطرة عليها بنزع شرعية وجودها الإداري الرسمي من خلال ربط عناصرها بالإدارة كأفراد وليس كجماعات (أي قبائل)؛ أو إشراك المستوطنين الأوربيين والجنود في تسييرها مع رفع درجة مراقبتها، لأن شيخ القبيلة حتى وإن نصبته الإدارة الاستعمارية فهو لا ينقل لها إلا ما يراه في مصلحته ليحافظ على سلطاته، وفي حالة خلافه معها ربما يكون هو من يقود الثورة ضدها[1]، مثلما حدث مع المقراني سنة 1871.

كما أن كثرة التدخل في الشؤون الداخلية للسكان والتعامل معهم كمواطنين من الدرجة الثانية من خلال اعتبارهم أهالي (les indigène)، ومن حيث التضييق عليهم ومراقبتهم وإحصائهم في أدق الأمور، والمس بأعراضهم جعلهم ناقمين على الإدارة الاستعمارية ويثورون عليها[2].

والحقيقة أن السلطة الاستعمارية قصدت وهدفت إلى تفكيك البنية الاجتماعية للجزائريين وذلك بمحاولة جعل العنصر الأوربي يشكل الأغلبية بتشجيع الهجرة وإصدار القوانين التي تسهل عملية الاستيطان، ورغم ذلك لم

[1] - Sabatier camille, La questions de la sécurité, insurrection et criminalité : les difficultés Algériens, Adolphe le Jourdan librairie Edition, Alger, 1882, pp42-43p ; Noellat, Op.cit, pp 42-43.

[2] - Frisch, considération sur la défense de l'Algérie la Tunisie et L'Armée d'Afrique, imp librairie militaire,Paris, (s.d), pp 165-166.

تحقق الأغلبية العددية لكنها كرّست الأغلبية المتسلطة بإعطاء المعمرين أغلب الثروات ومنحتهم حق استعباد الجزائري، وهذه السياسة حرمته من أبسط مقومات العيش الكريم[1]، وجعلته يحتل المراتب الأخيرة اجتماعيا، زيادة على حرمانه من الوظائف المدنية العليا والعامة ، ولم تترك له إلا الوظائف التي ترفّع المعمرون عنها[2]، فجعلته يعيش في فقر وبؤس وشقاء وحياة التشرد، لكنه لم يتقبل هذه الحالة الاجتماعية، ولم يبق له من خيار سوى اللجوء إلى الهجرة أو مقاومة الوجود الاستعماري وسياسته لمحاولة استعادة كرامته ومكانته الاجتماعية.

رابعا: الأسباب الاقتصادية

أقدمت السلطات الفرنسية على نهب أراضي الجزائريين بموجب سلسلة من القرارات والقوانين، بداية بمصادرة مساحات واسعة من الأملاك العقارية [3]، كما استولت على أراضي الأتراك المهاجرين والأوقاف وفرضت رقابة على جزء من أراضي القبائل بحجة أنها تركت دون زراعة أو استغلال، ثم وسّعت هذه العملية لتستولي على المزيد من الأراضي، وهذا سهّل عملية تحويل أملاك الجزائريين إلى المستوطنين الأجانب [4]، فكانت هذه الإجراءات من أهم أسباب قيام الثورات الشعبية المسلحة في الجزائر.

ومن خلال ما أورده الضابط "جول كينمو (Lieutenant-colonel Quinement)" في كتابه، يُظهر لنا أنه على وفاق مع رأي خليفة القبائل الكبرى علي بن الشريف حين صرح به في اجتماع بمدينة الجزائر سنة 1877 مع الإدارة الفرنسية بقوله :"أن فرنسا وإن كانت تمارس حقها كمحتل في أخذ أراضي الدواوير والقبائل فإنها بذلك تسبب غضب الشعب وثورته، لأن الشعب لا يريد الأموال بل يريد الحفاظ على أرضه فهي مصدر رزقه"، ويضيف هذا الضابط في نفس الكتاب رأي الجنرال بيلي (Pellé) الذي كان عل رأس أحد المكاتب العربية حين قال سنة 1850:"إن المعركة الأكثر شراسة التي سنواجهها هي معركة امتلاك الأراضي وهي أصعب

---

[1]- عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1830-1962)، تر: عبد الله جوزيف، دار الحداثة، بيروت، 1983، ص126.

[2]- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، دار المعارف، الجزائر، 1963، ص 100.

[3]- جيلالي صاري ومحفوظ قداش، الجزائر في التاريخ: المقاومة السياسية (1900-1954) الطريق الاصلاحي والثوري، تر: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص125.

[4]- إبراهيم مياسي، الاستيطان الفرنسي في الجزائر، مجلة المصادر، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، (د.ت)، ص115.

من معارك الاحتلال"[1]، ويؤكد ذلك ضابط آخر يدعى "فريش (Frisch)" بالتأكيد على أن نزع أراضي القبائل ومنحها للمستوطنين يؤدي إلى تجويع هذه القبائل وهذا من أهم أسباب قيام الثورات الشعبية[2].

والأمثلة كثيرة على ثورات الشعبية التي كانت الأوضاع الاقتصادية المزرية التي كان يعيشها الشعب الجزائري سببا من أسباب اندلاعها، حيث كان السبب المباشر في غضب أهالي منطقة الزيبان على الإدارة الاستعمارية وقيام ثورة الزعاطشة هو الزيادة في الضرائب على النخيل من 15 إلى 45 سنتيم، وإعادة فرض ضريبة أخرى كانت في عهد الأتراك، مع عدم مراعاة حالة السكان الاقتصادية والمعاشية المتدهورة[3]، كما أن سكان الزواغة وفرجيوة بالبابور قاموا بإشعال حريق في غابات الفلين، والقيام بثورة مسلحة بعد أن سلّمت السلطات الفرنسية غابات الفلين إلى شركة فرنسية بدلا من السكان المحليين الذين كانوا يعتمدون على العمل فيها لكسب قوتهم.

وكان قيام حاكم الغزوات بإصدار قرار إغلاق الحدود بين الجزائر والمغرب سببا في إيقاف التبادل التجاري خاصة للحبوب بين الشعب الجزائري والمغربي في الفترة التي انتشر فيها القحط والجفاف وقلة والمواد الغذائية، وهذا كان من أهم دوافع انتفاضة قبائل بني سناسن بمنطقة الحدود الغربية سنة 1859[4].

ونجد أن المؤرخين الفرنسيين يركزون على الأسباب الاقتصادية للثورات الشعبية دائما، والادعاء بأن الجزائريين لا يثورون إلا عندما يحاصرهم الجوع وينتشر فيهم الفقر والعري والحاجة، أما عندما تتحسن أوضاعهم الاقتصادية والمعيشية فإنهم يخلدون إلى الهدوء والسكينة ويتركوا التمرد والثورة على الحاكم وإن كان أجنبيا يحتل بلادهم، بهدف نفي الدافع الوطني والديني للمقاومات الشعبية المسلحة، وإذا أننا لا ننكر أن الأحوال الاقتصادية كانت من العوامل التي تسبب الثورات أحيانا، إلا أننا نؤكد على أنها تعد أسبابا ثانوية أو مباشرة غير حقيقة[5] ساهمت في تذكير الشعب الجزائري من المتسبب في أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية الصعبة، ألا وهو الوجود الاستعماري الذي يجب محاربته وطرده لتتحسن الظروف السيئة التي يعيشونها وفي جميع المجالات.

والدليل الآخر على ذلك هناك العديد من المقاومات شعبية المسلحة قامت في وقت لم يكن فيه من أحوال السكان ما يدعيه هؤلاء كمقاومة الأمير عبد القادر وثورة أولاد سيد الشيخ وثورة الشيخ بوعمامة وغيرها.

---

[1] - Jules Quinement, Solution de la question de l'Algérie et de la Tunisie, Imp Rochelles, Paris, 1881, p09.

[2] - R-J. Frisch, Op.cit, p 164.

[3] - E-CH Bourseul, Souvenirs de la guerre d'Afrique : Insurrection des Zibans ; Zaatcha, imprimerie militaire de veronnais, Metz, France,1851, p05.

[4] - يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ص 147- 150

[5] - نفسه، ص27.

المحور الثاني

مقاومة العاصمة ومتيجة

المحاضرة الرابعة

المقاومة في العاصمة

بعد نهاية المقاومة الرسمية في مدينة الجزائر بتوقيع معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830، انطلقت المقاومة الشعبية بشتى أنواعها خاصة المسلحة، لكن مدينة الجزائر على وجه خاص شهدت نوعين من المقاومات الشعبية في بداية الاحتلال، فما هي أنواع وأشكال المقاومة الشعبية التي عرفتها مدينة الجزائر؟ وما هي مراحلها؟ وكيف كان مصيرها؟

أولا: المقاومة الشعبية السلمية في العاصمة وروادها:

أبرز حركة مقاومة سلمية سياسية في مدينة الجزائر تلك التي قادها حمدان بن عثمان خوجة والتي ترجمها في كتابه "المرآة" والذي كتب فيه يقول :"..فرنسا لا تجني أي فائدة من الجزائر، ولا تنشر الحضارة في هذا البلد إلا بتطبيق المبادئ السارية المفعول التي تؤمن بهم وهم: استئصال هذا الشعب وإرغام السكان على بيع ممتلكاتهم والرحيل خارج هذه الأرض"؛ وساعده مجموعة من الشخصيات في مهمة الدفاع عن العلماء والمفتيين الحنفيين المسجونين وكان يندد بنهب الممتلكات ومناهضة الاعتداء على الأوقاف والمساجد وتحويلها إلى كنائس[1].

تبنيه قضية الدفاع عن الجزائريين وتذكير فرنسا بوعودها التي قطعتها بناءا على معاهدة الاستسلام الموقعة مع الداي حسين في 05 جويلية 1830 جعله أكبر أعداء السلطة الاستعمارية والمستوطنين واليهود، فحاولوا تشويه سمعته باتهامه بالرشوة والاختلاس وفساد الأخلاق، فقامت الإدارة الاستعمارية بنفيه إلى فرنسا سنة 1833، وهناك تعرف على نخبة من الجزائريين المثقفين، وأعاد تنظيم المقاومة السياسية، وحاول توضيح ما يجري في الجزائر من تجاوزات وانتهاكات في حق الشعب لدى الرأي العام الفرنسي والعالمي[2]، وذلك من خلال عقد بعض المؤتمرات وكتابة الرسائل ورفع العرائض الرسمية والتذكير بما جاء في معاهدة الاستسلام، وكان يهدف من ذلك إلى الاعتراف بالكيان الجزائري ثم جلاء الجيش الفرنسي منه، وتكللت جهوده بالضغط على البرلمان الفرنسي الذي قرر إرسال لجنة للتحقيق حول ما يجري في الجزائر[3].

---

[1] – حمدان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص 237-262.

[2] – العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التسع عشر، دار المعرفة للنشر، الجزائر، 2006، ص192.

[3] – نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص 12.

أمر ملك فرنسا لويس فليب[1] يوم 7 حويلية 1833 بتكوين "اللجنة الإفريقية" مهمتها دراسة الوضع الشامل بالجزائر وتحديد أسس العمل في المراحل اللاحقة، والتحقيق في ممارسات الإدارة والجيش باستجواب ممثلين عن السلطات العسكرية والمدنية والاستماع إلى أطراف أخرى عبر ممثليهم من اليهود وأعيان الجزائر، والقيام بزيارات وتحقيقات ميدانية، ولكن عمل هذه اللجنة كان بعيدا عن النزاهة والموضوعية واتضح أنها شكلت فقط لتبرير الاحتلال[2].

اعتبر حمدان خوجة نتائج اللجنة الإفريقية المخيبة لكنه لم يوقف نشاطه السياسي حيث أصدر كتاب "المرآة" بباريس في أكتوبر 1833 الذي وضّح فيه كل النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر وما يحدث فيها من أعمال قمعية ووحشية للجيش الفرنسي والمعمرين، وأبرز المعاناة اليومية للشعب الجزائري، وهذا ما جعله يتعرض لمزيد من المضايقات، حيث أمر الجنرال كلوزيل بسجن أبنائه في مدينة الجزائر ومنع مراسلاته، وفي عام 1836 اضطر إلى الرحيل نحو إسطنبول، وهناك واصل جهوده الوطنية خاصة دعم مقاومتي أحمد باي والأمير عبد القادر[3].

ومن قادة المقاومة السلمية السياسية في الجزائر، برز مفتي الجزائر محمود بن العنابي، وتركزت نشاطاته في تصديه لسياسة الجنرال كلوزيل القمعية التعسفية ضد الشعب الجزائري عامة والعلماء بوجه خاص، وعدم سكوته وتنازله عن الأملاك والأوقاف الإسلامية، وهذا ما جعله تحت المراقبة المستمرة للسلطات الاستعمارية، والتي قررت في النهاية حبسه ثم نفيه إلى الإسكندرية [4].

وبرز بوضربة الذي كان من المفاوضين مع الداي ودي بورمون ممثلا للحضر، وحصل في البداية على وعود خاصة لصالحهم من دي بورمون الذي نصّبه على رأس اللجنة البلدية، ولم يخفِ اتهامه للحزب العثماني بالتآمر، وكتب عدة عرائض ورسائل للسلطات الفرنسية ممثلا لأعيان مدينة الجزائر، يطالب برفع الظلم والتفرقة والاحتجاج

[1] – **لويس فيليب الأول** (Louis Filipe): ولد في باريس يوم 6 أكتوبر 1773م، وتوفي يوم 26 أوت 1850، بايعته ثورة "جوليت" ملكا على فرنسا يو 09 أوت 1830، لكن ثورة 1848 قضت على ملكه، وفر إلى انجلترا حيث قضى العامين الباقيين من حياته، اشتهر لويس فيليب بالجبن والنفاق حتى مع أعز أصدقائه؛ أنظر: حمدان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص 208.

[2] – حمدان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص 270– 276.

[3] – العربي منور، المرجع السابق، ص ص 193–194.

[4] – صالح فركوس، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص196.

على التصرفات التعسفية وأخذ الممتلكات ومنها الأوقاف، واستمر في نشاطه بمساعدة مجموعة من الشخصيات وزعماء الأسر الأرستقراطية إلى غاية سنة 1936[1].

ومن صور المقاومة السلمية لعامة الشعب أو ما سمي بالمقاومة السلبية كما سبقت الإشارة إليها سابقا، أن بعض سكان مدينة الجزائر بعد سقوطها في يد الاحتلال الفرنسي قرروا الالتحاق بمناطق المجاورة التي لا تزال مستقلة، حتى لا يكونوا تحت سلطة الكفار، من باب الهجرة بالدين لمن استطاع، حيث تشير الإحصائيات التي جرت بعد احتلال المدينة بأيام إلى وجود 16 ألف مسلم، بينما كان عددهم قبل دخول الفرنسيين حوالي 25 ألف، وحتى من بقي في المدينة أظهر نوعا آخر من المقاومة السلمية السلبية، أو كما سماها الجنرال دي بوسي "مقاومة الضعفاء"، حيث يقول في ذلك :"عندما أصبحت أية مقاومة جدية مستحيلة مالت أفكار الأهالي نحو مقاومة الضعفاء التي تمثل الدرع الذي واجهوا به الفرنسيين، فاحتجوا على الاضطهاد والظلم، وكانت احتجاجاتهم غالبا ما تجد الاستحسان، وظل الأهالي المفعمة نفوسهم بالأفكار الدينية المسبقة مناهضين لكل ما هو فرنسي".، أي رفض الخضوع والاستسلام التام ولو بالقلوب[2].

ثانيا: المقاومة الشعبية المسلحة في مدينة الجزائر:

بعد أن تم للجيوش الفرنسية احتلال مدينة الجزائر بعد استسلام الداي وجنوده، شهدت المدينة كما أشرنا سابقا مقاومة شعبية سلبية من عامة السكان برفضهم الانصياع وقبول سلطة الاحتلال، لكنها تطورت في بعض الأحيان إلى مواجهات غير عادلة انتهت بمجازر فظيعة ارتكبها جنود الاحتلال، كتلك التي حدث حين حاول سكان العاصمة منع تحويل مسجد كتشاوة إلى كنيسة.

وكانت المقاومة الشعبية المسلحة في ضواحي مدينة الجزائر متصلة في الغالب بالمقاومة في البليدة أو ما سمي بمقاومة متيجة، حيث أن أغلب العروش الموجودة في ضواحي مدينة الجزائر انضمت تحت راية مقاومة ولد بومزراق وابن زعموم اللذان قادا المقاومة في منطقة متيجة، وكان مركز الأول قرب بوفاريك، والثاني في الضفة الشرقية من الحراش، وانضمت عروش أخرى إلى مقاومة ابن السعدي، ونجح مقاتلو هذه العروش أيام بعد بداية الاحتلال من القضاء على سرية كاملة من الجيش الفرنسي انتقاما للسياسة الإرهابية التي ينتهجها، ولاحظ دوق أورليان أن جرأة

[1] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص ص 106.

[2] – محفوض قداش، ردود الفعل الجزائرية على الاحتلال الفرنسي، ص45-46.

القبائل العربية والبربرية تزداد يوما بعد يوم وأن المقاتلين يزدادون شراسة وحماسا وتقدما إلى أن وصلوا أسوار مدينة الجزائر مطلقين أعيرة نارية[1].

في سنة 1831 تم عزل كلوزيل وتعيين الجنرال بيرتزين (Berthezène) قائدا عاما للجزائر، وفي أثناء حكمه ومحاولته السيطرة على العاصمة والبليدة ظهر ابن السعدي في منطقة متيجة، وبدأ يدعو الناس للانضمام إليه من أجل الجهاد ومحاربة المحتلين، وقاد المقاتلين الذين جمعهم نحو مدينة الجزائر وانظم إليه في وادي الكرمة الزعيم محي الدين بن المبارك مع مقاتليه، واستطاع القائدان أن يهزموا الجيش الفرنسي في معركة عنيفة، فرّ بعدها من بقي من الجنود الفرنسيين إلى العاصمة، ولاحقهم ابن السعدي ورجاله، وفرض حصارا على المدينة قاطعا وصول المؤن والذخائر، ثم اسحب إلى ضواحي المدينة غالقا كل المنافذ المؤدية إليها، مما اضطر بيرتزين إلى مفاوضته والاتفاق معه على أن يحتفظ كل طرف بحكم ما تحت نفوذه، وأن تفتح مدينة الجزائر لتجارة أهالي متيجة.

على إثر فشل بيرتزين في السيطرة على الأمور بالعاصمة عزلته الحكومة الفرنسية وعينت مكانه الدوق دو روفيقو (Duc Du Rovigo) وذلك يوم 13 ديسمبر 1831، وبعثت معه 26 ألف جندي إضافي، ولمواجهة ابن السعدي عمد إلى إبادة قبائل بأكملها وارتكب مجاز فظيعة مجبرا الأهالي على الهجرة، وانتهج ابن السعدي أسلوب شن الغارات بعد أن اعتصم مع مقاتليه بالجبال، مما تسبب في خسائر معتبرة للعدو، وجعل روفيقو يدخل في مفاوضات معه ليفرض عليه شروطه، لكنها لم تنجح بسبب قيام رجال ابن السعدي باعتقال وفد سعيد بن فرحات شيخ عرب مدينة بسكرة الذي جاء يعلن الولاد للفرنسيين وقتل معظمهم، مما أغضب روفيقو فأمر عملائه باختطاف أحد شيوخ قبيلة العوفية الداعمة للمقاومة، وعاد ابن السعدي لمهاجمة مدينة الجزائر، لكنه انسحب مرة أخرى نحو المناطق الجبلية بسبب عدم تكافؤ القوى، ثم التحق بقوات الأمير عبد القادر الذي وصلت مناطق الوسط في مقاومتها للاحتلال[2].

[1] - Duc d'Orléans, La Compagne de l'Armée d'Afrique 1835-1839, Michel Lévy frères Editeurs, la librairie Nouvelle, Paris, 1870, p224.

[2] - يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 31-33.

المحاضرة الخامسة

المقاومة في متيجة

شهدت مدينة البليدة بشكل خاص ومتيجة بشكل عام مقاومة شعبية سياسية مرتبطة بنظيرتها في مدينة الجزائر، وكانت عدة شخصيات وعمال سابقين في الدولة قد تبنت خيار المقاومة السياسية في سهل متيجة؛ إضافة إلى الحضر المهاجرين من مدينة الجزائر بعد سقوط العاصمة ثم الأسر الدينية صاحبة النفوذ التي قادت المقاومة السياسية بعد تراجع دور الحضر[1].

لكن أغلب سكان وشيوخ قبائل منطقة المتيجة كانوا على يقين أن المقاومة السياسية السلمية لن تجدي مع هذا الاحتلال الهمجي الذي كانت لغته العنف وقوة السلاح، ولدى وجب الرد عليه ومحاولة إيقافه بالقوة المتاحة، ولدى تبنت قبال متيجة في غالبيتها خيار المقاومة المسلحة، والتي مرت عبر ثلاثة مراحل كالتالي:

المرحلة الأولى: من جويلية 1830 إلى سبتمبر 1832:

بعد السيطرة على مدينة الجزائر وقلاعها، لم تكن الحكومة الفرنسية قد قررت بعد مستقبل وشكل الاحتلال في هذه البلاد بين الاستقرار في السواحل أو التوغل نحو الدواخل، ولكن الجنرال دي بورمون بدأ يفكر في طريقة لتوسيع الاحتلال حول العاصمة فبعث بعض عملائه ليوافوه بالأخبار، وأرسل إلى حكام البايلكات يستميلهم ويغريهم، ومنهم باي تيطري "مصطفى بومزراق[2]" الذي قبل في البداية أن يتعاون معه، لكنه أشار عليه بتنظيم حملة عسكرية على مدينة البليدة أولا[3].

في مدينة البليدة دعا بعض الأعيان مع من هاجر من مدينة الجزائر إلى عقد اجتماع طارئ لدراسة الوضع، وفعلا وفي منطقة تمنفوست بتاريخ جويلية 1830 تجمهر عدد كبير من السكان على رأسهم شخصيات بارزة مثل محمد بن زعموم شيخ قبائل فليسة، وبن كانون وسيدي السعدي من أعيان مدينة الجزائر، وبعض علماء

---

[1] – جمال قنان، معالم الكفاح الوطني ضد الاحتلال 1830- 1954، منشورات المنظمة الوطنية للمجاهدين العاصمة، الجزائر، 2003، ص18.

[2] – **مصطفى بومزراق** : تولى منصب باي التيطري من 1819 – 1830 ، شارك في صد العدوان الفرنسي على مدينة الجزائر ، و بعد توقيع معاهدة الاستسلام بين دي بورمون و الداي حسين أعلن ولاءه للفرنسيين ، لكن سرعان ما تراجع عن موقفه بعد انهزام الجيش الفرنسي في معركة البليدة الأولى في جويلية 1830، عزله كلوزيل بعد الاحتلال المؤقت للمدية و عين بدله مصطفى بن الحاج عمر، أُخذ أسيرا إلى الجزائر ، ثم نفي إلى الإسكندرية ؛ أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ،ج1، المرجع السابق، ص 38 .

[3] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1: ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 30.

البليدة منهم حسن القلعجي[1]؛ وانتهى الاجتماع بإعلان المقاومة الشعبية المسلحة، مع فرض حصار ومقاطعة اقتصادية على مدينة الجزائر لمنع تموين الفرنسيين[2]

اعتقد الجنرال دي بورمون بعد سقوط مدينة الجزائر السهل ثم استسلامها أن بقية المناطق ستسقط تلقائيا وبنفس السهولة، فقام بتجهيز حملة عسكرية محدودة العدد (حوالي 2000 جندي) يوم 23 جويلية 1830 لغزو مدينة البليدة وكسر الحصار المفروض عليه، اجتمعت قيادة المقاومة في برج البحري بعد سماعها أخبار اقتراب حملة دي بورمون، وبدأت بتجهيز قواتها، وبالاعتماد على أسلوب المباغتة اعترضت طريق الجيش الفرنسي وهاجمته من كل جانب، وأجبرته على التراجع في اليوم الموالي، مخلفة 15 قتيل و43 جريح، وذكرت بعض المصادر أن ديبورمون بالكاد نجى مع بعض ضباطه[3]؛ وأجلت هذه المعركة مخطط الفرنسيين لاحتلال مدينة البليدة ولفكرة توسيع الغزو، وجعلت باي تيطري بومزراق يعيد حساباته ويغير قناعاته، ليعلن يوم 21 أوت تراجعه عن ولائه للفرنسيين ودعم المقاومة.

بعد تنصيب الجنرال كلوزيل مكان دي بورمون، جهز حملة عسكرية لغزو مدينتي البليدة والمدية، ونجح فعلا يوم 18 نوفمبر 1830 من دخول مدينة البليدة التي وجدها شبه خالية، بعد انسحاب أغلب سكانها إلى المدن المجاورة والأرياف والجبال لتنظيم المقاومة، لكنه ارتكب مجازر في حق من بقي واستباح الممتلكات وحول المساجد إلى مقرات للجنود واسطبلات للخيول؛ ثم ترك كلوزيل حامية في البليدة وتوجد بقواته نحو مدينة المدية في 22 نوفمبر 1830، لكن مقاتلي بومزراق اشتبكوا معهم في منطقة الشفة مخلفين أكثر من 250 ما بين قتيل وجريح من الفرنسيين حسب بعض المؤرخين[4]، بينما قدرها آخرون بـ 27 قتيل و28 جريح.[5]

لم تهنأ القوات المستقرة في البليدة بالهدوء، حيث شنت المقاومة عدة هجومات عليها بأسلوب الكر والفر بقيادة بن زعموم، وكذلك على الطريق الرابط بين العاصمة والبليدة، حيث تكبدت القوات الفرنسية خسائر

---

[1] – حسيني عائشة، الاستيطان الأوربي بسهل متيجة 1830-1870، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2012 – 2013، ص126.

[2] – إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، دار هومة للطباعة، الجزائر، ص55.

[3] - Féraud L.H, documents pour servir l'histoire de Philippeville, Revue africaine : journal des travaux de la Société historique algérienne, Société historique algérienne, 20eme année, 1876, p86.

[4] - Arsène Berteuile, L'Algérie française : histoire, moeurs, coutumes, industrie et agriculture,T1,Dentu Librairie Editeur, Paris, 1856, p286-287.

[5] - Paul Azan, l'Armée d'Afrique de 1830 à 1832, Paris, 1901, p 35.

فادحة فاقت 850 جندي، ولم تهنأ القوات الفرنسية في سهل متيجة بالسلم طوال الأشهر الستة الأولى لسنة 1831، وفي 25 جوان 1830 أعاد كلوزيل تنظيم حملة عسكرية ضد المدية، لكنه خسر 55 جنديا وجرح 192 آخرين في مواجهة المقاومة، وواصلت المقاومة شن الهجومات خلال شهر جويلية 1831 بقيادة ابن بومزراق تارة وسيدي السعدي تارة أخرى، وكذلك بن زعموم، وامتدت المقاومة في عهد الجنرال دي روفيقو الذي جاء في ديسمبر 1831، والذي اشتهر بارتكابه العديد من المجازر أشرها مجزرة قبيلة العوفية خلال شهر أفريل 1832، وهذا ما جعل الأوضاع تتفجر من جديد بعدما شهدت بعض فترات الهدوء، فانظم محي الدين بن مبارك إلى زعامة المقاومة وكذلك الشيخ علي بن موسى المعاتقي[1].

المرحلة الثانية من 1832 إلى 1835:

تمتد من اجتماع "سوق" إلى تعيين الحاج سيدي السعدي خليفة للأمير عبد القادر على متيجة، حيث أعادت قيادة المقاومة الشعبية في متيجة تنظيم نفسها وذلك إثر اجتماعها بمنطقة سوق على بعد 3 كلم من بوفاريك، وجددت الثقة في بن زعموم كقائد عسكري وسيدي السعدي كقائد روحي، وكانت أخبار هذا الاجتماع قد وصلت إلى قيادة الجيش الفرنسي فتحركت نحو المنطقة بحملة قوامها 1600 جندي، والتقت مع المقاومة في معركة خلال شهر أكتوبر 1832[2]، قتل فيها سبعة جنود فرنسيين وأصيب 14 آخرين، وطبعا استشهد عدد من المقاومين قدر بالعشرات أو المئات على اختلاف المصادر.

ما بين سنتي 1833 و1834 تواصلت هجومات المقاومة على الحاميات الفرنسية، كما تغير أسلوب القوات الفرنسية باستعمال الهجومات الخاطفة بفرق صغيرة، وظهر خطر الحجوطيين بشكل مقلق لسلطة الاحتلال في المنطقة، حيث عُرفت قبائل الحجوط بعدائها واستماتتها في القتال، مع استعمالها أسلوب الاختطاف.

وبعد عقد الأمير عبد القادر معاهدة ديميشال توسعت دولته ليضم مدينة المدية إليها، ثم عين على رأس مدينة مليانة الشيخ محي الدين بن المبارك خليفة له، وبعدها بدأت المقاومة في متيجة مرحلة التنسيق مع الأمير عبد القادر والجهاد تحت رايته، توجت بتعيين سيدي السعدي كخليفة للأمير عبد القادر على متيجة وزيادة الحماس

[1] – حسيني عائشة، المرجع السابق، ص130– 133.

[2] – Gabriel Esquer, Correspondance du duc Rovigo, T3, ancien maison bastide jourdan imprimerie, Alger, 1920, p539.

لمواصلة وتوحيد المقاومة في المنطقة، مما نتج عنه تراجع الحملات العسكرية في ظل انتصارات الأمير عبد القادر من الغرب إلى الوسط[1].

المرحلة الثالثة من مقاومة متيجة: 1835-1840.

كانت بداية هذه المرحلة مع تعيين الجنرال كلوزيل في فترته الثانية، التي ركز فيها على السياسة الاستيطانية، وتكثيف الحملات العسكرية في سهل متيجة، وكان هدفه الأول القضاء على قبائل حجوط، وردا على هذه السياسة جهز خليفة الأمير عبد القادر على مليانة الحاج محي الدين بن مبارك خمسة آلاف مقاتل، انظم إليهم فرسان قبائل حجوط من أجل طرد المستوطنين من سهل متيجة، حيث حرقت العديد من مزارع مع بداية أكتوبر 1835.[2]

رد كلوزيل بقيادة حملة عسكرية لمطاردة رجال المقاومة في العفرون والشفة بتاريخ 21 أكتوبر، منتهجا سياسة الأرض المحروقة ونهب الممتلكات، وتواصلت المواجهات اليومية تقريبا مع المقاومة خاصة الحجوطيين، وفي 30 مارس 1836 هاجمت القوات الفرنسية مدينة المدية مرة أخرى، واندلعت بينها وبين رجال المقاومة معركة عند ثنية موزاية، انتهت بمقتل 20 جنديا فرنسيا، و500 مقاوم بين جريح وشهيد.

ولما فشلت حملة كلوزيل على قسنطينة سنة 1836، قرر الأمير عبد القادر طرد الفرنسيين نهائيا من سهل متيجة، فأمر من مركز قيادته بالمدية الفرق المقاتلة بالهجوم على كل القواعد العسكرية الفرنسية بها، فقام المقاومون بإشعال النيران في المؤسسات الفرنسية وأسر المستوطنين، واندلا ع عدة معارك على مدى ثلاثة أيام.

ومع بداية سنة 1837 وإثر تزايد قوة الأمير عبد القادر، لجأ الفرنسيون من جديد للتفاوض، انتهت بتوقيع معاهدة تافنة في 30 ماي 1837، والتي كان من ضمنها اتفاق حول سهل متيجة، وذلك باقتسامه بين الفرنسيين والأمير عبد القادر، وبموجب الاتفاق أصبحت مدينة البليدة في نطاق سلطة الفرنسيين[3]، الذين أرسلوا في 30 ماي 1838 حملة عسكرية بقيادة الجنرال فالي لفرض السيطرة النهائية على المدينة، وقد وعد سكانها بضمان أمنهم تفاديا للصدامات مكتفيا بإقامة مركزين عسكريين متقدمين.

---

[1] – محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد قادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، ج1، الجزائر، 2007، ص 170.

[2] – حسيني عائشة، المرجع السابق ، ص138.

[3] – هنري تشرشل، المصدر السابق، ص154.

ورغم الاتفاق تواصلت المناوشات وهجومات رجال المقاومة، مما زاد الخلافات حول مناطق النفوذ بين الفرنسيين وممثلي الأمير عبد القادر، انتهت باستئناف الحرب رسميا في جويلية 1839، بعد محاولات الجيش الفرنسي استكمال السيطرة على باقي سهل متيجة، فشن المقاومون هجومات على ضيعات المعمرين ومنشآت الجيش الفرنسي بالسهل[1].

بعد نقض معاهدة تافنة زادت هجومات قبائل الحجوط ضراوة منذ 12 أكتوبر 1839، وركزت المقاومة على قطع الإمدادات من العاصمة وبوفاريك إلى البليدة، وبين 20 نوفمبر و31 ديسمبر 1839 جرت ثلاثة معارك قوية بين المقاومة والفرنسيين، وهي معركة بني مراد الأولى في 20 نوفمبر 1839 ، ومعركة بني مراد الثانية في 14 ديسمبر 1839، مع تسجيل خسائر متباينة في الطرفين دون حسم، ثم وقعت معركة واد العلايق في 31 ديسمبر 1839، أين تجمعت قوات المقاومة بقيادة محمد بن علال ومحمد بن عيسى البركاني خليفة المدية في منطقة بين الشفة والبليدة، وضربت حصارا على المركز العسكري الفرنسي قرب البليدة المسمى "جوانفيل"، وحاصرها من ورائها الماريشال فالي بقواته، وهذا جعل المقاومة تتكبد خسائر فادحة بلغت حوالي 300 شهيد، مقابل 13 قتيلا و92 جريحا من الفرنسيين[2].

ورغم استمرار المواجهات خلال سنتي 1840 و1841 إلا أن المقاومة عرفت تراجعا تدريجيا، نتج عنه احتلال البليدة والقليعة وشرشال، وبسط سيطرة شبه كلية للقوات الفرنسية على كل مناطق ومدن سهل متيجة مع تواصل بعض المناوشات الصغيرة من الجبال.

[1] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 187.

[2] – حسيني عائشة، المرجع السابق ، ص 145-150.

المحور الثالث

الاستراتيجية العسكرية لمقاومتي أحمد باي والأمير عبد القادر

المحاضرة السادسة

الاستراتيجية العسكرية لمقاومة أحمد باي(1)

المرحلة الأولى: مرحلة التحضير والقوة.

تعتبر مقاومة الحاج أحمد باي قسنطينة محل نقاش بين العديد من المؤرخين لعدة أسباب، فهناك أولا من يعتبرها مقاومة رسمية وليست شعبية بالنظر أن الحاج أحمد كان يشغل منصبا إداريا في السطلة العثمانية بالجزائر، وبقي هذا المنصب متصلا به حتى بعد احتلال الجزائر، بل وعرفت مقاومته وشخصيته به في كل المراسلات وكل المؤلفات، ومن يقول أن مقاومة أحمد باي رسمية يتحجج كذلك أنه كان ينادي بإعادة الجزائر إيالة تابعة للدولة العثمانية، كما أنه بقي على اتصال دائم بالباب العالي الذي وعده بالدعم الحربي والدبلوماسي.

لكن هناك قسم كبير من المؤرخين ونحن نأخذ برأيهم، يعتبرون أن مقاومة أحمد باي مقاومة شعبية مسلحة خالصة لعدة أسباب أهمها: أن المقاومة الرسمية انتهت في الجزائر بمجرد وقف العمليات العسكرية التي كان يقوم بها جيش الداي حسين ضد قوات الاحتلال الفرنسي وتوقيع السلطة الرسمية في الجزائر لمعاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830، كما أن جيش أحمد باي الذي اعتمد عليه في مقاومته مكون في غالبيته من عامة الشعب بعد تلبية القبائل نداء المقاومة الذي دعا إليه الباي كما سيأتي ذكر لاحقا، وهذه هي السمة الرئيسية للمقاومة الشعبية كما ذكرنا سابقا، أما عن الدعم الدبلوماسي والحربي ومحاولة احتضان الدولة العثمانية لمقاومة أحمد باي، فلم يكن هذا سوى وعودا ضمن المراسلات بين الطرفين ولم يتحقق على أرض الواقع.

سنحاول أن نركز على الجانب العسكري وما يتعلق به في مقاومة أحمد باي التي تعتبر من أهم المقاومات الشعبية المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي في تاريخ المقاومة الجزائرية، وقد قسمنا هذه المقاومة إلى أربعة مراحل، نبدأها بمشاركة أحمد باي في المقاومة الرسمية مباشرة بعدة دخول الاحتلال الفرنسي إلى الجزائر.

أولا: مشاركة أحمد باي في معركتي سيدي فرج والسطاوالي1830 :

تقلد الحاج أحمد باي مناصب سياسية عدة أهمها كان في بايلك الشرق، حيث كان قائدا للحرس أو ما يسمى بـ "قائد العواسي" سنة 1801، ثم تدرج في المناصب ليصبح سنة 1817 خليفة للباي، وبعد ثلاث سنوات تم تنحيته بحجة التواطئ مع باي تونس ضد الجزائر، ولكن بايلك الشرق قسنطينة شهد اضطرابات داخلية متكررة،

وكان الآغا يحي يرى أن الحاج أحمد الأقدر على إنهاء هذه الاضرابات واسترجاع الهدوء فاقترح على الداي حسين تعيينه بايا على قسنطينة[1]، وكان ذلك في سنة 1826.

ومع اقتراب الحملة الفرنسية من تنفيذ الانزال العسكري في ميناء سيدي فرج، كان الحاج أحمد باي موجودا في مدينة الجزائر لتقديم " الدنوش" (عوائد البايلك السنوية) إلى الداي، ولأن الداي كان قد أخبره سابقا في رسالة أن المدينة لا خوف عليها من الحملة الفرنسية وأن عليه فقط تحصين ميناء عنابة، فإنه لم يصحب معه إلى مدينة الجزائر سوى حوالي 400 جندي مرافق[2]، إضافة إلى بعض أعيان مدينة قسنطينة، ولكن الداي وبعد إدراكه حجم خطر الحملة الفرنسية أعلم الباي أحمد بتفاصيلها وطلب منه أن يلتحق مع جنوده بسيدي فرج[3].

حضر الحاج أحمد باي المجلس العسكري الذي عقد في سيدي فرج، وناقش مع أعضائه وسائل وخطط الدفاع عن مدينة الجزائر، ومع خبرته العسكرية المشهود لها اقترح خطة دفاعية ذكية بالنظر إلى اختلال موازين القوى بين الجيش الجزائري وجيش الاحتلال الفرنسي، لكن قائد الجيش "ابراهيم آغا" والذي هو في نفس الوقت صهر الداي حسين لم تعجبه معتبرا أن عدم مجابهة العدو بشكل مباشر ليس من عمل الرجال الشهام[4]، ولكن هذا كان من أهم أسباب انهزام الجيش الجزائري أمام الفرنسيين في معركتي سيدي فرج والسطاوالي.

رغم بسالة القتال واستماتة رجال أحمد باي إلا أن حوالي نصف عددهم استشهد؛ وانسحب مع من بقي إلى وادي القليعة ثم إلى عين الرباط (مصطفى باشا حاليا) شرق العاصمة، وبعد توقيع معاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830 تابع الحاج أحمد طريقه نحو قسنطينة ، مصطحبا معه عددا كبيرا من سكان مدينة الجزائر الفارين من الجيش الفرنسي، أثناء الطريق وصل إليه مبعوث قائد الحملة الفرنسية يطلب منه الاستسلام ويعرض عليه اعتراف الحكومة الفرنسية به حاكما على قسنطينة، شريطة ضريبة سنوية لها، لكنه لم يرد مباشرة على العرض، مفضلا تأجيل ذلك إلى غاية العودة إلى قسنطينة واستشارة مجلس ديوانه الذي يمثل جميع سكان قسنطينة ومقاطعاتها[5].

---

[1]- لم يكن دايات الجزائر يُعينون على البايلكات وخاصة في قسنطينة سوى من الأتراك، لكن تولية الحاج أحمد الكرغلي كانت اضطرارية وكذلك لثقة الداي حسين في شخصية أحمد باي؛ أنظر: صالح فركوس، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 206.

[2]- هناك روايات تقول أن جيش الباي المشارك في الدفاع عن الجزائر كان عدده ثلاثة آلاف فارس، أنظر: صالح فركوس، نفسه، ص 208.

[3]- يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ص 63-64؛ سعيد بورنان، رواد المقاومة الوطنية في القرن التاسع عشر، ط2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص86.

[4]- مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المصدر السابق، ص 11-17.

[5]- يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص 65.

ثانيا: استراتيجية الداي العسكرية للدفاع عن قسنطينة:

1- التحضير العسكري والدبلوماسي للمقاومة:

قبل وصول الحاج أحمد باي إلى قسنطينة قام بعض ضباط اليولداش الأتراك (الإنكشارية) بالانقلاب عليه، واختاروا القائد سليمان بايا لقسنطينة مكانه، لكن سكان المدينة لم يقبلوا به واتفقوا على افشال هذا الانقلاب خاصة بعد وصول أخبار قرب عودة الحاج أحمد باي إلى قسنطينة[1].

مباشرة بعد عودة أحمد باي إلى مدينة قسنطينة اجتمع بأعضاء الديوان وناقش معهم عرض دي بورمون المذكور سابقا وأمور أخرى، لكن الجميع اتفقوا على الرفض والاستعداد للمقاومة، وشرع أحمد باي في التخلص من الجنود الانكشاريين واستبدالهم بعناصر وطنية من شخصيات وأعيان المدينة وشيوخ القبائل، واعتمد في تكوين جيشه لمقاومة الاحتلال الفرنسي على مقاتلي وفرسان القبائل العربية والزواوية التي قُدر تعدادهم في البداية بحوالي عشرة آلاف مقاتل، ثم شرع في زيادة تحصين عاصمته قسنطينة وبناء ثكنات جديدة[2].

ورغم اقصائه للعناصر التركية والانكشارية بعد الانقلاب واعتماده على العناصر الوطنية إلا أنه حاول إبقاء علاقاته وصلاته بالباب العالي جيدة، بداية بتنصيب نفسه "باشا" أي خليفة للداي حسين وممثلا للسطلة العثمانية في الجزائر، وحاول الحصول على اعتراف السلطان العثماني به واليا على الجزائر، وطلب منه أن يساعده ماديا وعسكريا ودبلوماسيا لمواجهة الفرنسيين، لكن هذا بقي مجرد وعود وتشجيعات، فالدولة العثمانية في ذلك الوقت لم تكن أحسن حالا، على الأقل مقارنة بالدول الأوربية التي بدأت تستعيد ريادتها فيما يخص موازين القوى بين الشرق والغرب، ولم تتردد فرنسا في تهديد السلطان العثماني إن حاول دعم أحمد باي، حيث أن سفيرها في إسطنبول أبلغه أن فرنسا ستعتبر الاعتراف لباي قسنطينة برتبة "باشا" بمثابة إعلان حرب عليها[3].

وبعد إصرار أحمد باي في طلب نجدة السلطان العثماني ومساعداته ودعمه، رد عليه هذا الأخير بالصبر والتريث بحجة السلم المبرم مع الدول الأوربية ولا يمكنه إعلان الحرب على فرنسا على خلفية قضية الجزائر، أو على الأقل قضية قسنطينة ولكنه في المقابل طلب من الحاج أحمد أن يستمر في مقاومة الفرنسيين وأن لا يوقع أي صلح

---

[1]- يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 65.

[2]- صالح فركوس، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص ص 209-210.

[3]- أرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970، ص82

معهم إلا بعد مشاورته[1]، رغم ذلك واصل الحاج أحمد باي بعث رسائل عبر وفوده إلى السلطان العثماني يلح ويكرر فيها طلب المساعدة المادية والعسكرية في ظل اقتراب الفرنسيين يوما بعد يوم من تنفيذ حملة عسكرية على قسنطينة، ومؤكدا أنه على استعداد تام للتضحية من أجل الدين، لكن الرد لم يتغير من الباب العالي.

2- فشل اقتراحات التسوية وبداية المقاومة:

أدركت فرنسا أن أحمد باي أصبح يهدد مشروعها الاستعماري فعملت على انهاء خطره بشتى الوسائل، بداية بإرسال وفود وخطابات تحمل اقتراحات للتسوية والتفاهم، وكان أحمد باي يرفضها تباعا، حيث وبعد رفض مقترح الجنرال دي برمون الأول بالاستسلام، رفض مقترحا آخر مشابها قبل نهاية سنة 1830، كما رفض مقترحا من الجنرال كلوزيل بتعيينه بايا على قسنطينة باسم ملك فرنسا على أن يدفع الضرائب اللازمة لفرنسا، وهذا ما جعل كلوزيل يمنح أحد أشقاء باي تونس "مصطفى باشا" سلطة بايلك قسنطينة[2].

وبعد تعيين " الدوق دي روفيقو[3]" حاكما عاما للجزائر في 17 ديسمبر 1831 سعى هو الآخر للتفاوض معه وجعله يعترف بالسيادة الفرنسية على قسنطينة أو الاستسلام لفرنسا، ومرة أخرى تفشل المفاوضات مع أحمد باي الذي أرسل خطابا إلى حمدان خوجة المكلف بمهمة الوساطة بتاريخ 14 ديسمبر 1832 قائلا فيه : " ...لقد وقع السؤال منهم سابقا (الفرنسيون) من أول الأمر وتكرر صدور الجواب منا بعدم الإمكان ... وبيّنا وجه تعصب الأمر وتعسره وعدم إمكانه وتعزره، سابقا و لاحقا ..." [4]

وكان هذا آخر ما تم بدله لإنهاء الصراع بالطريقة السلمية السياسية، فبدأ الصراع الحربي المسلح بين أحمد باي والفرنسيين حول مدينة عنابة وميناءها البحري، حيث حاصرت قوات أحمد باي الفرنسيين وحاول عرقلة نزولهم على السواحل الشرقية، من أجل منع زحفها نحو الداخل؛ نجحت القوات الفرنسية رغم ذلك في الدخول عنابة وحاولت السيطرة عليها لكن المقاومة استطاعت بعد صراع قوي إجبار القوات الفرنسية على الخروج من المدينة

---

[1] - بسام العسلي، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي (1830-1838)، ط2، دار النفائس، بيروت، 1986، ص120.

[2] - Ernest Mercier, Les Deux Sièges de Constantine (1836-1837), imprimerie libraire L.Poulet, France, 1896, p7.

[3] - **دي روفيقو** : ولد في 1774 بفرنسا شارك في الحروب النابليونية ، ترقى إلى رتبة جنرال ، عين سفيرا لدى روسيا في 1807 ثم وزيرا للشرطة 1810- 1814 ، اتسم عهده بالقمع، و ارتكب عدة جرائم في حق الشعب الجزائري منها: إبادة قبيلة العوفية ، وقام بتحويل جامع كتشاوة إلى كنيسة ، عزل يوم 4 مارس 1833 بسبب مرض أصابه ، توفي يوم 20 جوان 1847 بباريس؛ أنظر: P.Carpentier, Le Duc de Rovigo et Pichon , imprimerie de David , Paris 1852 , P16

[4] - صالح فركوس، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص ص 210-211.

أهم موانئ إقليم قسنطينة [1]، أعاد الاحتلال الفرنسي محاولة السيطرة على مدينة عنابة في مارس 1832 ونجح هذه المرة في الاستيلاء عليها، ثم سقطت بجاية في ديسمبر من نفس السنة[2]، وانتهجت قوات الاحتلال بقيادة يوسف المملوك أسلوب الإغارة على القبائل الجزائرية والتنكيل بها ونهبها، من أجل منعها من دعم جيش الباي.

وقد حاول علي بن عيسى نائب أحمد باي استرجاع عنابة في جوان 1833 لكنه لم ينجه في ذلك، وهذا ما جعل الحاج أحمد باي يتجنب الدخول مع الفرنسيين في معارك كبرى، منتظرا وصول النجدات والمساعدات التي وعده بها السلطان العثماني محمود الثاني، والذي طلب منه أن يثبت في المقاومة ولا يقوم بإبرام أي صلح أو اتفاق مع الفرنسيين[3]،وبالتالي اقتنع الفرنسيون أنه لا يمكن أن يضمنوا بقاءهم في السواحل الشرقية ما لم يحتلوا قسنطينة.

3- مواجهة الغزو الفرنسي الأول لقسنطينة 1836:

ذكر بعض المؤرخين أن فرنسا كانت تعتبر بايلك الشرق قسنطينة الأهم من بين البايلكات الثلاث، لما به من كنوز حسب تقديراتهم، ولأهميته الجغرافية والاستراتيجية، فهو كبير المساحة، أراضيه خصبة ومتعدد المجاري المائية، وبه عدة مدن هامة كعنابة، بجاية، جيجل، سطيف، ميلة، بسكرة..، كما أنه يحادي إيالة تونس من الشرق[4].

تم تجهيز حملة عسكرية لاحتلال مدينة قسنطينة قوامها نحو 8700 رجل، انطلقت من عنابة يوم 8 نوفمبر 1836 بقيادة الجنرال كلوزيل[5]؛ وكان أحمد باي يعلم أن الفرنسيين سيفوقون جيشه على الأقل من حيث العدة فقام بتقسيم قواته إلى قسمين، الأول تحت قيادة خليفته ابن عيسى به ألف رجل معهم ثلاثين مدفعا على الأسوار وفي قصبة المدينة، وكلفهم بالدفاع عن المدينة من الداخل، أما القسم الثاني الذي كان تحت قيادته شخصيا والذي يتكون من 5000 فارس و1500 من المشاة المتطوعين ومدافع ميدان، كانت مهمته محاولة عرقلة القوات المتقدمة نحو قسنطينة، وذلك بأسلوب الكمائن والإغارة عليها من الخلف خارج المدينة [6].

---

[1]- سعيد بورنان، المرجع السابق، ص 90.

[2] - Ernest Mercier, Les Deux Sièges de Constantine, Op.cit, p p 7-8.

[3]- مذكرات أحمد باي...، المصدر السابق، ص 29.

[4] - M. FORQUET-D'HACHATTE, Guerres d'Afrique «CONSTANTINE» Expéditions Française (1936-1937), imprimerie de Poussielgue Masson et Cle, Paris, 1852, p3

[5]- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989، ج1، دار المعرفة للنشر، الجزائر، 2006، ص 116.

[6]- مذكرات أحمد باي، المصدر السابق، ص 48.

وقرر الحاج أحمد باي ألا يدخل مع الجيش الفرنسي في مواجهة مباشرة خارج المدينة بالمكان الذي كان يعسكر به في "وادي الأحد" بسيدي مبروك، حيث تمركز على الطريق المؤدي إلى المدينة منتهجا أسلوب حرب المناوشات لاستدراج العدو إلى أسفل المدينة حيث الطبيعة وعرة، خاصة وأن سقوط الأمطار والثلوج زاد من عرقلة تقدمه[1].

وصلت الحملة الفرنسية العسكرية إلى قسنطينة يوم 21 نوفمبر 1836 متعبة جراء الغارات التي استهدفتها على طول الطريق، وكدا سوء الأحوال الجوية، وبدأت مباشرة حصارا على المدينة دام ثلاثة أيام، واعتقد الجنرال كلوزيل أن سكان المدينة سوف يستسلمون ويسلمون المدينة دون مقاومة، خاصة وأن قائدها أحمد باي خارج أسوارها، لكن الجواب جاءه من داخل المدينة بإطلاق نار على قواته المتمركزة في هضبة المنصورة، فتراجع قرب ضريح سيدي مبروك أين نصب مقر القيادة [2].

في اليوم الأول للحصار تواصلت معاناة الجيش الفرنسي من استمرار تهاطل الأمطار والثلوج، التي أفشلت محاولاته لدخول المدينة خاصة من جهة جسر "القنطرة"، في ليلة 22 نوفمبر حاولت القوات الفرنسية القيام بغارة خاطفة من باب القنطرة وباب الحديد في اوقت نفسه، لكنها فشلت وتراجعت، خاصة بعد بداية هجومات جيش الباي من خلف الجيش الفرنسي المحَاصِر، فأجبر كلوزيل على رفع الحصار يوم 24 نوفمبر بعدما اقتربت الذخيرة من النفاذ وبعدما تكبدوا خسائر فادحة [3].

طارد أحمد باي الجيش الفرنسي المنسحب إلى ما وراء قالمة ومجاز عمار، لكنه أمر جنوده بعدم تصفيتهم أو نهب ممتلكاتهم، ليكسب ود وتعاطف السلطة الاستعمارية، ويكون في موقف سليم إذا ما دخل في مفاوضات جديدة لتحقيق السلم والاعتراف به حسب شروطه [4].

جعل هذا الانتصار أحمد باي يكاتب السلطان العثماني بذلك، ورد عليه السلطان بالتهاني وتجديد الوعود بإرسال المساعدة والدعم العسكري، وفعلا وصلت أربعة سفن إلى تونس بها اثنا عشر مدفعا ومجموعة من الجنود الأتراك، لكن باي تونس منعها من الوصول إلى قسنطينة محتجزا المدافع، بدعوى أن فرنسا هددت بمحاربته[5].

---

[1] – يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 70.

[2] - Ernest Mercier, Les Deux Sièges de Constantine, Op.cit, p p 17-18.

[3] - Ernest Mercier, Histoire de Constantine, J.Marle et F.Biron Imprimeurs-Editeurs, Constantine, 1903, p 401-412.

[4] – مذكرات أحمد باي، المصدر السابق، ص ص 53-57.

[5] – يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع نفسه، ص 71.

المحاضرة السابعة

الاستراتيجية العسكرية لمقاومة أحمد باي(2)

المرحلة الثانية: مرحلة التراجع ثم الاستسلام

أصبح أحمد باي في أوج قوته بعد الانتصار على الفرنسيين وأفشال مخطط غزوهم لقسنطينة سنة 1836، فاكتسب الثقة وزاد دعم القبائل له ووعد السلطان العثماني بإرسال المساعدات العسكرية، لكن هل يجعله هذا كله ينجح في رد عدوان آخر على قسنطينة؟ وكيف سيكون مصيره لو فشل في الحفاظ على قسنطينة؟ وما هي الاستراتيجية التي سيتبعها في المقاومة خارج قسنطينة؟ وكيف كان تأثير مقاومة الأمير عبد القادر على مقاومته؟

أولا: ترتيبات الأطراف المتحاربة لغزو ثان لقسنطينة 1837 :

بعد هزيمة الجيش الفرنسي في محاولة غزو قسنطينة الأول عزلت الحكومة الفرنسية الجنرال كلوزيل في 13 جانفي 1837 ، ونصبت مكانه الجنرال "دامريمون " [1](Damrémont)، من أجل التحضير بشكل جيد للحملة الثانية، مع استغلال إبرام معاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر، من أجل التفرغ لقتال أحمد باي مجددا [2].

بدأ دامريمون استراتيجيته في مواجهة أحمد باي بالمراوغة وذلك بإرسال مقترحات تسوية للباي، أول مقترح كان بواسطة التاجر اليهودي "ابن باجو"، والثاني تولاه اليهودي "بوجناح"، لكن الحاج أحمد رفضهما لما تضمنا من شروط تعجيزية[1]، بالإضافة إلى أنه تفطن أن هذه المقترحات كانت من أجل المراوغة وكسب الوقت، لأنه أثناء المفاوضات حول هذه المقترحات كان الفرنسيون قد أنهوا تحضيراتهم للهجوم الثاني على قسنطينة[2].

---

[1]) ولد في 8 فيفري 1783 ، تخرج من مدرسة فنتان بلو العسكرية عام Charles marie dénis Damrémont – **دامريمون** : (1804، شارك في الحروب النابليونية ، استدعى في 21 جويلية 1830 لقيادة حملة على مدينة عنابة . تقلد رتبة لواء في ديسمبر 1830 .عين حاكما عاما في الجزائر1837 . قاد الحملة الثانية على قسنطينة أكتوبر 1837 ، قتل على إثرها من قبل المقاومة في 12 أكتوبر 1837؛ أنظر : Narcisse Faucon, Livre d'or de l'Algérie : histoire politique, militaire, administrative, événements et faits principaux, biographie des hommes ayant marqué dans l'armée, les sciences, les lettres, etc., de 1830 à 1889, T1 : Biographie, Challamel et C^{le} Editeur, Paris, 1889 , P 176

[2]– بشير بلاح، المرجع السابق، ص 117.

[1]– تتلخص إقتراحات دامرمون التي حملها بوجناح في أن يدفع الحاج أحمد باي مليوني دورو لغرامة حرب، ويسمح بتمركز حامية عسكرية في قصبة قسنطينة، ويطلق الحرية لمن أراد من السكان أن يخضع للفرنسيين، مقابل إبقاء سيطرته على المنطقة الممتدة من غرب مجاز عمار إلى قسنطينة، أنظر: يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 72.

[2]– يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 73؛ Ernest Mercier, Les Deux Sièges de Constantine (1836-1837), Op.cit, p 42-44.

وصلت الحملة العسكرية الثانية والتي كانت أكبر من الأولى على مشارف قسنطينة بتاريخ 05 أكتوبر 1837 تحت قيادة الحاكم العام "دامريمون"، بها 20 ألف و400 رجل، مع فرقة مدفعية مدربة تحت قيادة الجنرال فالي (Valée)، وفرقة هندسة عالية التجهيز والتنظيم[1].

بدأت قوات أحمد باي هجوماتها على طلائع الجيش الفرنسي عند مجاز عمار (قرب قالمة) لمدة ثلاثة أيام، ولكنها لم توقفها على التقدم، حينها قرر الحاج أحمد مواجهتا بخطة السنة الماضية، لكن العدد الكبير للقوات الفرنسية في هذه المرة وقوة استعدادها وتنظيمها صعّب تطبيق هذه الخطة.

خيمت القوات الغازية قرب أسوار المدينة في يوم 10 أكتوبر 1837، ونصبت مدافعها في المنصورة والقنطرة مع حساب مدى وصول قنابل المقاومة، في اليوم الموالي وجه قائد الحملة " دامريمون " نداء لسكان المدينة مماثل لذلك الذي وجهه قائد الحملة الفرنسية لسكان مدينة الجزائر سنة 1830، حيث عرض عليهم الاستسلام والتعهد بحفظ الأرواح والممتلكات والمقدسات الدينية، فردّ عليه "ابن عيسى" خليفة الباي برسالة ساخرة جاء فيها :"إذا كنتهم تفتقرون إلى الذخيرة الحربية نرسل لكم، وإذا نفذ منكم البسكويت نتقاسم ما لدينا معكم، لكن لن تدخلوا المدينة،.. الفرنسيون لن يكونوا أسيادا لقسنطينة إلا بعدما نُقتل جميعا"[2].

بدأت فرقة المدفعية الفرنسية بإطلاق متواصل للقنابل باتجاه أسوار المدينة، مع التركيز على الأجزاء الجنوبية الغربية، فأحدث ذلك بعض الثغرات دخلت منها مجموعات من الجنود الفرنسيين إلى المدينة في 13 أكتوبر 1837[3]، رغم أن المؤرخ "يحي بوعزيز" يذكر في كتابه "ثورات القرن التاسع عشر" أن فرقة المقاومة بقيادة "علي الومباجي" الذي كان يشرف على الرمي بالمدافع هي التي أحدثت هذه الثغرات بعد مبالغتها في القذف، مع الإشارة أن هذه القذائف قتلت عدد كبيرا من الجنود الفرنسيين من بينهم الحاكم العام دامرمون.

وما ذُكر من مبالغة القدف وحتى عشوائيته يؤكده الأخصائي الألماني "شلوصر" في مذكراته، هذا الذي كان أسيرا لدى أحمد باي واستعان به لتنظيم فرقة المدفعية، يذكر أنه قام عمدا بتصويب المدافع عاليا حتى لا تصيب القوات الفرنسية خدمة للمسيحية ولتحرير نفسه من الأسر[1].

---

[1] - M. FORQUET-D'HACHATTE, Op.cit, p06.

[2] - Ernest Mercier, Histoire de Constantine, Op.cit, P 421-423.

[3] – بشير بلاح، المرجع السابق، ص 117.

[1] – قندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص60.

تولى قيادة الجيش الفرنسي الجنرال "فالي" الذي قاده داخل المدينة في حرب شوارع مع السكان، قُتل العديد من أحسن جند أحمد باي منهم البجاوي خليفة الحاج أحمد في قسنطينة، وأجبر بن عيسى على قيادة باقي السكان للخروج من الباب الخلفي من ناحية الصخرة، ونيران العدو تلاحقهم وهذا ما أدى إلى مقتل الكثير منهم، احتل الجيش الفرنسي مدينة قسنطينة بالكامل، وانسحب أحمد باي ومن بقي معه إلى الجنوب [1].

ثانيا: استراتيجية أحمد باي للمقاومة بعد سقوط مدينة قسنطينة:

لمدة ثلاثة أيام استباح الجيش الفرنسي مدينة قسنطينة من ارتكاب المجازر وهتك الأعراض والنهب والدمار والفساد، وفي تلك الأثناء كان الحاج أحمد باي يحاول إعادة تنظيم المقاومة خارج قسنطينة وذلك بالاتصال بالقبائل وتعبئتها لمواصلة الجهاد، ويقول في ذلك:"...وفي ذلك حين فكرت في محو الهزيمة لأن الله لا يضيع كليا إلا الذين يهملون أنفسهم.." [2]، وهذا دليل على إصرار أحمد باي على مواصلة الكفاح واسترجاع مدينة قسنطينة، في شهر مارس سنة 1838 استنفر القبائل المجاورة لقسنطينة لتنظيم هجوم على القوات الفرنسية بها، فخرج الجنرال "نيقربي" لمواجهته، لكن لم تحدث بينهما معركة بعد تراجع أحمد باي، فبعث له الجنرال رسالة يخبره فيها أن السبيل الوحيد لنجاته هو استسلامه الكلي.

وفكر أحمد باي باللجوء إلى حرب العصابات بداية بقطع الطريق بين عنابة وقسنطينة وهو خط التموين الذي يعتمد عليه الجيش الفرنسي، لكن صهره وخاله بوعزيز بن قانة اعترض على الخطة، وأشار عليه بمحاربة خصمه فرحات ابن سعيد حاكم بسكرة أولا ثم محاربة الفرنسيين، وافق الباي على هذا المقترح، والتقى الجيشان فعلا على الطريق المؤدية إلى الزيبان وتمكن الباي من هزيمة بن سعيد وعزله من حكم بسكرة؛ وحكم هو في مكانه بضعة أشهر حتى انتزعها منه خليفة الأمير عبد القادر على التيطري "محمد البركاني" في ماي 1838[1].

كثّف أحمد باي في هذه المرحلة اتصالاته بالباب العالي منتظرا وصول النجدات لكنها لم تصل، وفي شهر سبتمبر 1838 أعاد مراسلة القبائل لتعبئتها وتوحيدها، خاصة بعد احتلال مدينة سكيكدة في 8 أكتوبر 1838 وجيجل 13 ماي 1839، أي أن الساحل الشرقي للجزائر أصبح بالكامل في يد الفرنسيين، وفي هذا

[1] – يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 74.

[2] – مذكرات الحاج أحمد باي، المصدر السابق، ص 77.

[1] – بسام العسلي، المرجع السابق، ص ص126-127.

الوقت تعرض أحمد باي للخيانة من طرف أقرب الناس إليه وأحسن قادته، وهو "بوعزيز بن قانة" الذي استسلم لفرنسا في نهاية شهر ديسمبر 1838، وهذا سهل مهمة العدو من أجل بداية التوغل داخل الصحراء[1].

ثالثا: استراتيجية أحمد باي في التعامل مع الأمير عبد القادر لمواصلة المقاومة:

فقد أحمد باي أهم السبل الكفيلة والفعالة لاستئناف المقاومة وبقوة، خاصة بعد احتلال قسنطينة وفقدانه أهم مساعديه وعدم استجابة الباب العالي لمطالبه، كل هذا في ظل وجود خصوم كثيرين أولهم الأمير عبد القادر، وكانت ولا تزال مسألة التعاون بين أحمد باي والأمير عبد القادر لمقاومة الاحتلال معا محل جدل بين المؤرخون، حيث أكد بعض المعاصرين للمقاومتين أن تحالفهما كان يكفي لطرد الاحتلال من الجزائر، وهذا ما قاله نوري أفندي (لكلكجي) أحد المبعوثين الأتراك إلى لندن الذي قام بمباحثات مع خبير شؤون إفريقيا (حسون الدغيس) في رسالة جاء فيها :"..إن إنقاذ الجزائر ممكن من وجهة نظر السيد حسون الدغيس وذلك بالتعاون المحكم بين أولئك التوانسة وأحمد باي والشيخ عبد القادر شريطة أن يترك كل منهما التنافس، بينما يعملا معا لمواجهة العدو المشترك .. وطرده من الجزائر بدون معاونة خارجية لهما ولكن إذا تم الاتحاد بينهما وحسنت النية"[2].

من جهة أخرى تظهر هذه الرسالة أن أحمد باي والأمير عبد القادر كانا على خلاف، رغم الغموض الذي ساد طبيعة هذا النزاع وأسبابه، نظرا لاختلاف الروايات وتعددها، خاصة وأن مقاومة الرجلان للعدو الفرنسي لا يمكن لأحد أن يشكك فيها.

والأكيد أنه من خلال بعض رسائل أحمد باي يظهر أنه لم يكن يثق في الأمير عبد القادر، ولم يعترف به قائدا للمقاومة ضد العدو الفرنسي، بل رأى فيه خائنا، حيث يقول في إحدى رسائله إلى "كامل باشا" سفير بروسيا:"... وزيادة على كل ذلك فإن الشخص الذي يسمونه عبد القادر والخائن للدين (أي دينه) والذي يدعي المشيخة والكرامة قد أصبح يشكل خطرا علينا بأعماله الافسادية والتخريبية"[1].

وظهر الصراع بين الرجلين حول مناطق النفوذ في الوسط والشرق، حيث كتب الأمير عبد القادر إلى سكان المدن والقبائل الشرقية يخبرهم بعقده معاهدة مع الفرنسيين وتأسيسه لدولة ذات حدود معترف بها، ويطلب منهم أن يدخلوا في طاعته ويخلعوا طاعة الحاج أحمد باي، واستجاب له بعضهم كفرحات بن سعيد الذي دخل في

---

[1]- صالح فركوس، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص ص 220-221؛ بشير بلاح، المرجع السابق، ص 118.

[2]- الأرشيف الوطني الجزائري، دفتر خط همايون، عدد 47966، 1251هـ/1835م، رسالة من طرف السيد نوري أفندي إلى الديوان الهمايوني.

[1]- الأرشيف الوطني الجزائري، دفتر خط همايون، عدد 48131، 1254هـ/1838م، رسالة من الحاج أحمد باي، باي قسنطينة إلى سعادة كامل باشا سفير بروسيا.

معارك ضد أحمد باي عام 1838، كما هاجم عامل التيطري محمد البركاني أحمد باي في بسكرة في ماي من نفس السنة بأمر من الأمير عبد القادر، وطرده منها[1].

واعتبر الحاج أحمد باي أن معاهدة تافنة بين الفرنسيين والأمير عبد القادر مؤامرة ضده، وفي ذلك قال :"إن العدو الفرنسي أبرم مع عبد القادر معاهدة سلام وأحد شروطه، القضاء على كل أثر لسلطتي بالبايلك (قسنطينة)"، وتتفق جل الكتابات أن نية الأمير من هذه المعاهدة لم تكن أبدا ضرب الحاج أحمد أو مساعدة الجيش الفرنسي للتفرغ له كما كان يعتقد، وإن فعليا حدث ذلك، بل كانت أهم أهداف الأمير من المعاهدة أخذ بعض الوقت في بناء دولته وتحضير جيشه، رغم أنه يمكن اعتبار نتائج هذه المعاهدة على مقاومة أحمد باي من سلبياتها التي لم يأخذها الأمير عبد القادر بعين الاعتبار، لعدم التنسيق بين الرجلين كما سبق ذكره، أو لأن الأمير كان يعتبر الأتراك مصدر كل المحن والمآسي التي نزلت بالبلاد ومنها الاحتلال الفرنسي، وهذا ما يفسر موقفه من أحمد باي الذي حسبه لازال يمثل سلطة الأتراك [2].

من جهة أخرى تشير الكثير من التقارير والكتابات التاريخية أن الأمير سعى للوحدة إلا أن الباي أحمد رفض ذلك، حيث جاء في تقرير الجنرال "قالبوا" إلى الحاكم العام:" أنا متأكد أن الباي أحمد قد وصلته رسائل عديدة من عبد القادر يدعوه فيها إلى الوحدة ضدنا، ولكن الباي لم يكن مستعدا لذلك حسب ما يظهر، فهو يكره الأمير ويغار منه..."؛ حيث أدركت الادارة الاستعمارية أن الباي كان يعتقد أنه الوارث الشرعي للعثمانيين في الجزائر، فاستغلت صراع الرجلين لصالحها، وذلك بمفاوضة الرجلين كلا على حدى، فوعدت الباي بإعادة تنصيبه ومنحه امتيازات حتى لا ينظم إلى الأمير، في الوقت ذاته عقدت مع الأمير معاهدة تافنة من أجل التفرغ لاحتلال قسنطينة، وهذا ما أدخل المقاومتين في فترة تراجع ثم الاستسلام[1].

رابعا: نهاية المقاومة والاستسلام:

واصل الباي مقاومته بالاعتماد على حرب العصابات، فكان يتنقل من مكان لأخر من قبيلة إلى أخرى، تارة في جبال النمامشة والأوراس وأولاد سلطان غربي باتنة والحضنة ثم نواحي عين البيضاء، وتارة أخرى إلى الصحراء ضواحي بسكرة، محاولا كسب دعم القبائل لمواصلة الجهاد، وظلت مواجهات خصومه تلهيه عن ذلك.

---

[1]- مذكرات أحمد باي، المصدر السابق، ص132.

[2]- صالح فركوس، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 213.

[1]- نفسه، ص 215.

وأدرك الاحتلال أن أحمد باي لم يعد كما كان، فبدأت حملات عسكرية لملاحقته، فالتقى الطرفان في واحدة من أكبر المعارك بينهما وذلك في شهر ماي 1844 بمنطقة أولاد سلطان غربي باتنة، وكان الجيش الفرنسي بقيادة الدوق دومال[1] (Duc d'aumal)، لكن أحمد باي انهزم وانحسب نحو قرية "منعة" في الأوراس بزاوية الشيخ ابن عباس، ثم لاحقه الفرنسيون وهاجموه هناك في 22 ماي 1845، فلم يقدر على مواجهتهم فاحتمى بجبل "أحمر خدو" جنوب شرق قرية منعة قرب أولاد عبد الرحمن[2].

مع بداية شهر جوان من عام 1848 أصبحت معظم القبائل في مختلف الجهات من بلاد الأوراس محاصرة من الحاميات الفرنسية، وبهذا فقد أحمد باي المؤازرة والحماية، ومع تقدمه في السن وتدهور حالته الصحية بدأ يفكر فعليا في الاستسلام، فاغتنم خروج قائد مدينة باتنة العسكري إلى مهمة ليبعث له رسولا في السر طالبا التفاوض من جديد ونهائيا، لكنه اشترط أن يبدو استسلامه عسكريا حربيا من خلال محاصرته بقوات كبيرة حتى يتأكد الجميع بألا مخرج ولا بد من الاستسلام وبشرف.

كما وضع الحاج أحمد باي شروطا أخرى لاستسلامه، كاسترجاع ممتلكاته وثرواته السابقة والسماح له بمغادرة الجزائر إلى بلد إسلامي يختاره، وأظهرت السلطات الاستعمارية قبولها لشروطه، وكان استسلامه فعليا في 5 جوان 1848، لكن وكالعادة لم يتم الالتزام بالعهود، حيث وبعد مكوثه يومين في مدينة بسكرة نقل إلى قسنطينة، ثم تم ترحيله إلى مدينة الجزائر أين وضع تحت الإقامة الجبرية مع تخصيص منحة سنوية له حسب حاجاته الضرورية[1].

خامسا: قراءة في أسباب فشل مقاومة أحمد باي: نوجزها فيما يلي :

- **تقديمه أحيانا لمصالحه الشخصية على المصلحة العامة:**

رغم أن أحمد باي أظهر قدرة عالية في مقاومته وجهاده للعدو الفرنسي طوال ثمانية عشر سنة، لكن ظهرت عليه في مواقف عدة نزعة الزعامة وحب التسلط، مثل رفضه دعوة الأمير عبد القادر للوحدة ضد العدو الفرنسي المشترك، ومنها محاباته لبعض أقاربه على حساب الصالح العام، فمثلا انتزع مشيخة عرب الزيبان من فرحات بن

---

[1] – **الدوق دومال** Duc d'Aumale (هنري أوجين) : ولد بباريس 16 جانفي 1822 ، الابن الرابع للملك لويس فيليب ،تخرج من مدرسة فنسان في سلاح الرماة ، تقلد رتبة نقيب 1839 ، شارك إلى جانب أخيه الدوق أورليان في معركة العفرون 1840 وثنية موزاية ومعركة وادي الزبوج ، تقلد على إثرها رتبة مقدم ، ثم عاد إلى الجزائر 1842 ، تولى القيادة العسكرية بالمدية حتى 1843 ، اشتهر بالاستيلاء على زمالة الأمير 16 ماي 1843 شارك في الحملة على الونشريس – عين حاكما عاما في الجزائر 21 سبتمبر 1847 حتى 3 مارس 1848 . أطلق إسمه على سور الغزلان ؛ أنظر: Narcisse, Livre d'or, OP.cit , P 22- 25

[2] – بشير بلاح، المرجع السابق، ص 119.

[1] – يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 77–80؛ صالح فركوس، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 227–231.

سعيد وعين مكانه خاله وصهره بوعزيز بن قانة الذي أصبح عميلا لفرنسا والتي عينته شيخ العرب، كما ظهر عليه تعلقه بحماية عائلته وثروته الطائلة وسلطانه في عدة مواقف، أثناء مفاوضته للفرنسيين منذ البداية، وعندما عين نفسه دايا للجزائر مطالبا باعتراف الباب العالي [1].

- **خيانة أتباعه ومقربيه له وصراعه معهم:**

نجح الدوق "دي روفيقو" في تأنيب فرحات بن السعيد ضد أحمد باي، وعاداه بعض شيوخ القبائل كمحمد بن أحمد بن الغضبان وشيخ أولاد عبد النور والمرابط سي الحسين بن عزوز وغيرهم[2]، كما استسلم أقرب الناس إليه بوعزيز بن قانة، وفي كل هذا يقول الحاج أحمد باي:"..ومن جهة أخرى فإن طائفة العربان التي كنت استخدمها في المقاومة والمدافعة ضد العدو، أصبحت عيونهم خائفة وعقولهم واقفة وضائعة وأعراضهم ساقطة وهي لا تقدر الاستمرار على الحرب والمقاومة.." [3]

- **تفوق الجيش الفرنسي:**

يقول أحمد باي في رسالة للباب العالي يشتكي قلة امكانياته:"...وقع المصير المحتم ولم يكف لدفع ورفع الأخطار المحدقة بنا لأن قوة العدو وإمكانياته كانت أقوى وأضخم بكثير من قوتنا وإمكانياتنا.." [4]؛ بالإضافة إلى أخطاء عسكرية ارتكبتها قواته، منها معارضة ابن قانة لخطة الباي في قطع الإمدادات عن الجيش الفرنسي بين عنابة وقسنطينة وتفضيله مهاجمة فرحات بن سعيد في الجنوب[1]، ومنها وثوقه بالأخصائي الألماني "شلوصر" الذي قام عمدا بتصويب المدافع عاليا حتى لا تصيب القوات الفرنسية[2].

- **وعود الباب العالي في بعث الدعم العسكري التي لم تتحقق:**

هناك العديد من الرسائل بين أحمد باي والباب العالي تتضمن طلباته بالدعم والمساعدة مقابل وعود متكررة من السلطان العثماني، لم تترجم في الواقع إلا مرة واحدة بعد انتصاره في معركة حصار قسنطينة الأول سنة

---

[1]- العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر ، 2006، ص 165-170.

[2]- صالح فركوس، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص211.

[3]- الأرشيف الوطني الجزائري، دفتر خط همايون، عدد 48131، 1254هـ/1838م، رسالة من الحاج أحمد باي، باي قسنطينة إلى سعادة كامل باشا سفير بروسيا.

[4]- نفس المصدر.

[1]- يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 74؛ العربي منور، نفسه، ص 176.

[2]- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص60.

1836، حيث أرسل له سنة 1837 عن طريق تونس أربع سفن بها جنود ومدافع، لكن باي تونس منع وصولها خوفا من التهديد الفرنسي [1].

- **انشغاله بالقتال على عدة جبهات:**

لم يتفرغ الحاج أحمد باي لقتال الاحتلال الفرنسي طول مدة مقاومته، بل تعددت جبهات قتاله، حيث نازعه في سلطة الجزائر وبايلك الشرق باي التيطري بومزراق ثم باي تونس، كما حارب فرحات بن سعيد وخلفاء الأمير عبد القادر في عدة مناطق بالشرق، في مقدمتهم عامله على التيطري محمد البركاني الذي قاتل أحمد باي في مدينة بسكرة وأخرجه منها في نهاية ماي 1838[2].

سادسا: قراءة مختصرة لنتائج مقاومة أحمد باي السلبية والايجابية :

- كانت نهاية أحمد باي مأساوية كشخصية تاريخية في ملحمة المقاومة الجزائرية بعد جهاد ونضال طويل دام حوالي ثمانية عشر سنة.

- كانت نهاية مقاومته بداية لسيطرة فرنسا على كامل منطقة الشرق الجزائري بما فيها الجنوب الشرقي.

- بينت مقاومة أحمد باي غلبة الحسابات الشخصية على المصلحة الوطنية للعديد من الأطراف، خاصة خلاف أحمد باي مع الأمير عبد القادر وكذا مع معاونيه وشيوخ القبائل.

- أضعفت مقاومة أحمد باي ادعاءات السلطة العثمانية برغبتها في استرجاع الجزائر وتخليصها من الاستعمار الفرنسي، التي بقيت مجرد وعود، رغم أن هذه المقاومة كانت أفضل فرصة لذلك.

- ساهمت مقاومة أحمد باي بشكل كبير في تأخير توغل الاحتلال الفرنسي في الشرق الجزائري واحتلاله.

أظهرت مقاومة أحمد باي أن الجيش الفرنسي يمكن هزيمته في المعارك الكبرى رغم تجهيزاته المتطورة، حيث تكبدت خسائر عسكرية كبيرة في العتاد والجنود في مواجهاتها مع قوات أحمد باي، وتم أحصاء مقتل 148 عسكري منهم 19 ضابط إضافة إلى 654 جريح في عملية غزو قسنطينة الأولى سنة 1836، كما قتل قائد الحملة الثانية سنة 1837 على قسنطينة الجنرال "دامريمون" وعدد كبير من الضباط والجنود رغم الهزيمة[1].

---

[1]- الأرشيف الوطني الجزائري، دفتر خط همايون، عدد 48131، 1254هـ/1838م، رسالة من الحاج أحمد باي، باي قسنطينة إلى سعادة كامل باشا سفير بروسيا.

[2]- يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ص 66-75.

[1] - Ernest Mercier, Histoire de Constantine, Op.cit, P 434.

المحاضرة الثامنة

الاستراتيجية العسكرية لمقاومة الأمير عبد القادر (1)

بداية المقاومة وبناء الدولة سياسيا وعسكريا

ارتبطت مقاومة أحمد باي في الشرق بمقاومة أخرى في الغرب بسبب تزامنهما وقوتهما ضد الاحتلال الفرنسي وعلاقتهما التي أثير حولها جدل تاريخي سبق وأن أشرنا إليه ، هذه المقاومة هي التي ميزت مقاومة الغرب الجزائري وهي مقاومة الأمير عبد القادر؛ فكيف كانت بدايات الأمير عبد القادر مع المقاومة؟ وكيف تزعم لواءها في الغرب؟ وما كيف استطاع بناء أول دولة جزائرية حديثة قوية عسكريا وسياسيا؟

أولا: وصول حركة الغزو الفرنسي إلى الغرب الجزائري وبداية المقاومة:

بعد تمكن الجيش من احتلال العاصمة في صبيحة يوم 12 محرم 1245 هـ / 5 جويلية 1830، وانطلاق حملات عسكرية فرنسية نحو عدة مدن ساحلية هامة لاستكمال خطة الغزو، اضطربت الأحوال في عامة البلاد وعمت الفوضى وكثر الشقاق من جراء فقدان السلطة الرسمية التي تضبط مصير الأمة وأدى هذا إلى إعلان انفصال بعض الزعماء كل بناحيته [1].

في العام الموالي أي سنة 1831 وصلت الحملة الفرنسية إلى المدن الجزائرية الساحلية الغربية، فتم احتلال المرسى الكبير وبعض حصون مدينة وهران، فاستسلم باي وهران حسن باي، فتمكن الاحتلال الفرنسي من دخول مدينة وهران في 06 فبراير 1831 [2]؛ وبذلك أصبحت كل المناطق المجاورة مهددة، ولهذا عقد زعماء قبائل بني هاشم وبني عامر و البرجية خلال شهر أفريل 1832 اجتماعا في ضواحي معسكر لوضع حّد لهذه الاضطرابات والتحضير لمواجهة الاحتلال الفرنسي، فتقرر بموجبه إسناد القيادة إلى محي الدّين أبو الأمير عبد القادر، ولم يلبث إلا أياما، ففي أواخر الشهر الذي تسلم فيه الإمارة هاجم سرية استطلاع فرنسية متكونة من

[1] – يحي بو عزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري بسيرته الذاتية وجهاده، يليه بطل الكفاح، ويليه مراسلات الأمير عبد القادر، طبعة خاصة 2009،دار البصائر،2008،ص ص 43- 44

[2] – سعيد بورنان، رواد المقاومة الوطنية، المرجع السابق، ص ص 56-57.

مائة جندي قرب وهران ملحقا بها بعض الخسائر[1]، واستمر محي الدين في قيادة المقاومة بالغرب الجزائري، مخلفا هزائم عدة في معارك مع جيش الاحتلال، أعظمها واقعتا "خنق النطاح" الأولى والثانية ومعركة "برج رأس العين".

معركة خنق النطاح الأولى كانت في أواخر ذي الحجة 1247هـ/03 ماي 1832، سبقها تجهيز محي الدين لسرية بقيادة السيد عبد القادر بن زيان الزياني، مهمتها استكشاف أحوال العدو قرب بوهران، واستطاعت هذه السرية جمع معلومات جيش العدو المعسكر في منطقة خنق النطاح، بعد مراقبة تحركاتهم، فتوجه محي الدين بجيشه المكون من ثلاثة آلاف مجاهد إلى واد سيق، وخيم قرب العدو، قبل أن يهاجمه بشكل خاطف ملحقا به هزيمة كبرى[1]، وشارك الأمير عبد القادر في هذه المعركة، مظهرا حماسا وبسالة في القتال، رغم أن فرسه أصيب [2].

ورغم سنه الخامس والعشرين برزت شخصية الأمير عبد القادر القيادية بشكل واضح في واقعة "خنق النطاح الثانية " التي جرت بين 4 و6 ماي 1832، حيث اقترح تقسيم الجيش المكون من 12 ألف رجل إلى خمس فرق: فرقتين للقتال، وفرقتين للدفاع، والأخيرة تنصب كمينا وراء العدو، وبعد هجومات متكررة على الحاميات والقلاع الفرنسية، أمر محي الدين مقاتليه بالانسحاب بسبب حلول عيد الأضحى، مع مواصلة الحصار التجاري على الفرنسيين في مدينة وهران [3].

بالموازاة مع قتال الفرنسيين انشغل محي الدين بمحاربة الموالين لهم خاصة قبيلتي الدوائر والزمالة، وبعض بقايا الاتراك والكراغلة في قلعة مشور تلمسان ومدينة مستغانم، وهذا منعه أحيانا من مباغتة الحاميات الفرنسية، ففي محاولة منه لدخول مدينة وهران في سبتمبر 1832 اضطر لمهاجمة قبيلة الغرابة، ثم محاصرتها في 23 أكتوبر من نفس السنة، وهذا منعه من تحقيق هدفه، وكان ابنه عبر القادر معه في جميع هذه المحاولات[4]، حيث برز بمهارته القتالية وفروسيته وشجاعته، وأدرك محي الدّين أنه لابد أن يتنازل عن القيادة لابنه، وتيقن أن البلاد لا بد أن

---

[1] – أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبدالقادر الجزائري 1808 – 1847 ،ج1، ط1، دار الرائد، الجزائر، 1983، ص80.

[1] – محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد قادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، ج 1، ط ب، منشورات، الجزائر، 2007، ص ص 176 -177 .

[2] – أديب حرب ،ج1 ، المرجع السابق ، ص 81 .

[3] –صالح فركوس، موسوعة تاريخ جهاد الأمة الجزائرية (من بداية الاحتلال إلى غاية الاستقلال1830–1962)، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص69.

[4] – نفسه، ص ص 70–71.

يحكمها أمير ذو سطوة وشخصية قوية، ونفوذ كبير يستطيع به محاربة العدو من أجل إخراجه من البلاد فاقترح أن يقدم ابنه خاصة وأنه قد تقدم به العمر[1].

ثانيا: البيعة وأسس بناء الدولة سياسيا وإداريا:

في 27 نوفمبر سنة 1832 م / 3 رجب 1248 هـ عقدت البيعة الأولى للأمير عبد قادر، وذلك تحت شجرة الدردار الموجودة بوادي فريحة في غريس (معسكر)، وهي شجرة عظيمة كان الأهالي هناك يجتمعون تحتها للشورى، وحينها لقبوه بـ "ناصر الدّين "؛ سرعان ما شاع أمر البيعة فأقبلت الوفود لتباركها وتوافق عليها، فانعقد مجلس عام في قصر الإمارة بمدينة معسكر في 13 رمضان 1248 هـ / 4 فبراير 1833 حضره الأشراف والعلماء والشيوخ من كل قبيلة، وجرى فيه عقد البيعة الثانية[2].

شكل الأمير حكومة ومجلسا للشورى يعتمد عليه في مختلف شؤون الدولة خاصة الاستراتيجية العسكرية للدولة، يشتمل هذا المجلس على 11 عضوا برئاسة القاضي "أحمد بن الهاشمي المراحي"، وأقام الأمير عبد القادر دولته سياسيا وإداريا بتقسيمها إلى ثمانية مقاطعات إدارية على رأس كل مقاطعة خليفة للأمير[3].

وحدد الأمير عبد القادر أولويات قيام دولة وطنية أساسها المقاومة تمثلت في:

- توحيد الجزائريين حول مبدأ الجهاد لنصرة الدين الإسلامي والوطن.
- تطهير الجبهة الجزائرية من المتخاذلين والخونة المتعاونين مع العدو.
- مواجهة الاحتلال الفرنسي الصليبي الظالم.
- التضييق والضغط على الفرنسيين في الجزائر لحملهم على الاعتراف بسيادة الدولة الجزائرية الأمير قائدها .
- تكوين دولة وطنية إسلامية، لها جيش وراية وعملة ولها سيادتها[4].

---

[1]- يحي بوعزيز ، الأمير عبد القادر الجزائري سيرته الذاتية و جهاده ، المرجع السابق ، ص ص 21 ، 22 .

[2]- محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق ، ص 193

[3]- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962 ، ط 1 دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997 ، ص 109

[4]- العربي المنور، المرجع السابق، ص 150

وكان الأمير عبد القادر يركز على الوحدة وعدم الفرقة ولدى كان يستغل أي لتوسيع دولته وتقويتها وبسط الاستقرار فيها، ففي سنة 1834 بعقده مع فرنسا معاهدة دي ميشيل ، ضم بموجب بنودها مقاطعة وهران ما عدا مدينة وهران ومستغانم، وسمح له باستيراد السلاح من أي دولة أراد، وأن يعين قناصل له بها، فعظم شأنه وقوي سلطانه، ثم تفرغ لمحاربة الخارجين عليه، فقضى على فتنة ابن نونة في منطقة تلمسان، ووسع دولته على بعض المناطق المجاورة التي لم تكن سابقا مثل مدية وملیانة[1].

ثالثا: التنظيم العسكري لدولة الأمير عبد القادر:

كان يملك الأمير عبد القادر جيشا قويا منذ بداية المقاومة، لكن هذا الجيش كان يفتقر إلى التنظيم والتدريب، وخاصة وأن أغلب عناصره من المتطوعين، ويعود تفكير الأمير إلى تكوين جيش نظامي عصري دائم إلى أوائل سنة 1834م بعد معاهدة ديمشال، لأن هذه المعاهدة منحت فسحة وفرصة للأمير عبد القادر لتنظيم دولته من كل الجوانب وخاصة الجانب العسكري، والتحضير الجيد في حالة ما إذا قرر الفرنسيون نقض المعاهدة، ولتجهيز مخطط لتشكيل جيش وطني دائم ومنظم عقد مجلسا مع وزرائه، وشرح لهم مزايا وجود جيش نظامي يكون في خدمة الدولة و يكون دائما على أهبة الاستعداد لمواجهة الطوارئ، فوافق الجميع على ذلك[2].

تأثر الأمير عبد القادر في بناء جيشه النظامي وترتيب وحداته بالقوانين الأجنبية والتركية، بالتأكيد على الطاعة والانضباط واحترام الرتب ، وتدريب الفرقة القتالية وتشكيلاتها واخضاع عناصرها لقواعد دقيقة حددت واجباتهم و حقوقهم ، اعتمد الأمير في البداية على شراء الأسلحة و الذخيرة من دول الجوار وحتى من أوربا حتى البنادق الفرنسية وخص فرسانه بالسيوف المراكشية من فاس رافضا استعمال السيوف الإسبانية[3].

1- تركيب جيش الأمير وتنظيمه: تألف من فئتين:

أ- الجيش النظامي:

بلغ تعداد جيش الأمير عبد القادر المنظم حوال 15.300، وكان على ثلاثة أقسام رئيسية:

- الخيالة: أو الفرسان وهم في العادة الأكثر عددا والأهم في العمليات القتالية.

---

[1]- الأمير عبد القادر العالم المجاهد ، جمع و تحقيق ، نزار أباظة ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق 1994 ، ص 10

[2]- إسماعيل العربي، لأمير عبد القادر الجزائري مؤسس الدولة وقائد الجيش، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984، ص ص 37 -39.

[3]- أديب حرب، التاريخ العسكري و الإداري، ج2، المرجع السابق، ص ص 73، 74 .

- المشاة أو(الجيش المحمدي) .
- رجال المدفعية أو الرماة أو الطوبجية (نسبه إلى طوب بالتركية وهو المدفع)[1].

وأعطى الرتب والدرجات تسميات خاصة، في فرقة الخيالة جعل على رأس كل ألف خيال "آغا"، وعلى الخمسين "سيافا" وعلى العشرين "رئيس الصف" ودونهّ الجاويش (العريف)، وعين لكل ألف ومائة مقاتل كاتبا، ينسق بينهم ويرأسهم "باش كاتب"

وقسم العسكر المحمدي إلى مجموعات من مائة جندي، كل مجموعة رئيسها يسمى "سيافا" وكاتب خاص، وتقسم المجموعة إلى ثلاثة أقسام، وجعل لكل قسم خِباء (أي خيمة) يرأسه "رئيس خباء"، ينوب عنه "خليفة رئيس خباء"؛ ورئيس العسكر المحمدي هو رئيس السيافين يَنظر في أحوالهم، أما رئيس فرقة الطوبجية فيسمى "باش طوبجي"، وعين لكل مدفع اثني عشر جنديا عليهم رئيس وكاتب[2].

ويلبس العسكري المحمدي الجوخ والكتان، والجوخ ثلاثة أصناف: الأحمر القاني لأعلى الرتب العسكرية كرئيس الخيالة، والأحمر الخفيف للرتب المتوسطة كالسيافين والكتاب، والأسود لأدنى الرتب، وغطاء الرأس هو الشاشية؛ ولتمييز الرتب وتسلسلها منح الضباط علامات فارقة من الذهب والفضة فيها نقوش لآيات وعبارات تحمل جميعها طابع النظام والطاعة والجهاد، وتقرر أيضا منح الأوسمة المختلفة حسب الجدارة للشجعان من المقاتلين، وكان يوضع على أحد جانبي رأس البرنس؛ وكانت الرواتب تختلف حسب الظروف وحسب الرتب، فمثلا كان راتب الجندي تسعة فرنكات شهريا[3].

ب- الجيش المساعد أو غير النظامي:

شكّل القسم الأكبر من قوات الأمير عبد القادر، وكان يلتحق بالوحدات النظامية ليقاتل في صفوفها عند الحاجة حسب المهمات الموكلة إليه؛ وجميع عناصر هذا الجيش كانت من القبائل المؤيدة الأمير والموزعة في مختلف

[1]- يحيي بوعزيز ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سيرته الذاتية وجهاده ؛ ويليه بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري ، و يليه مراسلات الأمير عبد القادر مع اسبانيا و حكمها العسكريين بمليلية، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص 80 .

[2]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج 1 ، المصدر السابق ، ص ص 229 – 230؛ زكريا صيام ، الأمير عبد القادر الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، دت ، ص 23 .

[3]- إسماعيل العربي المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت، ص 226 .

أنحاء إماراته، يختارها خلفاؤه أحيانا للمحافظة على النظام والأمن داخل مقاطعتهم، وتعداده غير منتظم[1]، وكان هذا من أكبر المشاكل التي واجهت الأمير عبد القادر في مدى اعتماده على هذا الجيش في العمليات القتالية.

ج- تنظيم الجيش للعمليات القتالية:

معسكر جيش الأمير عبد القادر الحربي يتخذ شكلا نصف دائري من الخيم المخروطية الشكل، متناسقة البعد في البناء، وكل خيمة بها ثلاثة وثلاثين مقاتلا[1]؛ وللمعسكر مدخل رئيسي على جانبيه مدفعان وفي مقدمة المعسكر خيمة رئيس سلاح المدفعية، يقابلها خيمة رئيس الجراحين والأطباء وخيمة المستشفى وفي المنتصف خيمة الأمير مزينة ومفروشة بالسجاد الفاخر، وعلى مسافة غير بعيدة من خيمته يقع مركز رايات الجيش ومربط الخيل وعلى جانبيها خيم كتبة أسراره وحرسه، ومن ورائهم خيم محافظي الخزينة ومستودعات لوازم الجيش.. الخ[2].

وللحفاظ على أمن المدن والمراكز الاستراتيجية لدولته أمر الأمير عبد القادر بتشييد الكثير من القلاع والحصون، أهمها حصون بين السواد والصحراء، وحصن سعيدة، وحصن تاغدامت الشهير في الجهة الجنوبية والشرقية ، وحصن بوغار...، وكانت هذه الحصون تسمى بمدن عبد القادر بن محي الدين[3].

د- الصناعة العسكرية والتسليح:

لتوفير الأسلحة والذخائر والتجهيزات العسكرية اعتمد الأمير عبد القادر في البداية على شرائها من الدول الأجنبية كبريطانيا وفرنسا، وبعض الدول المجاورة كتونس والمغرب، وحتى القبائل الصحراوية في تقرت وبلاد التوارق؛ كما اعتمد على المساعدات التي جاءت من سلطان المغرب والقبائل المغربية وتونس، وركز على جمع أسلحة رجال القبائل الخاصة الموروثة عن أجدادهم، إضافة إلى الغنائم العسكرية التي يحصل عليها من المعارك.

ورأى الأمير عبد القادر أن أوربا لم تصبح قوية إلا بعد قيام بثورتها الصناعية، مما جعله يهتم بالصناعة وخاصة صناعة الأسلحة كالمدافع والبنادق والبارود والرصاص، وأراد جعل الصناعة العسكرية قاعدة لصناعات أخرى بعد طرد الجيش الفرنسي من المناطق التي احتلها[4].

---

[1]- بسام العسلي ، المرجع السابق، ص ص 41 ، 42 .

[1]- أديب الحرب، التاريخ العسكري و الإداري ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 85 .

[2]- محمد ابن عبد القادر، تحفة الزائر، ج1 ، ص ص248 - 249؛ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص225.

[3]- الأميرة بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر- حقائق ووثائق بين الحقيقة و التحريف، دار المعرفة، ط2، الجزائر، 2008، ص32 .

[4]- بشير بلاح، المرجع السابق ، ص 176 .

ولهذا شيد عدة مصانع لمختلف أنواع الأسلحة، منها التي أنشأها في تلمسان لصناعة المدافع، وكانت تنتج 12 مدفعا يوميا، ومصنع في مليانة لصناعة البنادق، وصناعة البارود كانت في تلمسان ومعسكر ومليانة والمدية وأخيرا قاعدته العسكرية تاكدامت التي كانت تنتج حوالي 08 بنادق في اليوم، والتي عمل فيها على تحويل السراديب (المغارات) الرومانية القديمة إلى مخازن للذخيرة والكبريت وملح البارود والنحاس والرصاص والحديد ولكل الآلات والأدوات التي اشتراها[1].

وبذلك استطاع الأمير عبد القادر بناء دولة قوية سياسيا وعسكريا يمكنها مجاراة ومجابهة قوة أوربية مثل فرنسا، وهذا ما سنبينه في المحاضرة الموالية الخاصة بمختلف المعارك التي خاضها ضد الجيش الفرنسي والمتعاونين معه.

[1]- فتحي دردار ، الأمير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية (1832 – 1847)، دار النشر الجديد، الجزائر، 2001 ، ص97 .

المحاضرة التاسعة

الاستراتيجية العسكرية لمقاومة الأمير عبد القادر (2)

مراحل المقاومة العسكرية

بعد أن تمت البيعة للأمير عبد القادر اختار مدينة معسكر عاصمة لدولته ومقرا لعملياته العسكرية، وبدأ استراتيجيته لبناء الدولة وتوسيعها بالاعتماد على عدة جوانب: السياسية الدبلوماسية، الاجتماعية الدينية الثقافية العلمية، لكن كيف اعتمد على الجانب العسكري أو المقاومة لبناء وتقوية دولته؟ وما هي أهم المعارك التي خاضها ضد الاحتلال والتي ساعدته في بناء دولته؟ وكيف استفاد من الضغط العسكري على الجيش الفرنسي؟ وما هي الصعوبات التي واجهته عسكريا؟ وكيف كانت نهاية مقاومته؟

أولا: مرحلة القوة وتوسيع الدولة:

1- إرضاخ القبائل الخارجة عن الطاعة:

ليضمن الأمن والاستقرار في دولته الفتية ولتوحيد الصفوف لمواجهة العدو الفرنسي دعا الأمير عبد القادر كل القبائل إلى الدخول في طاعته ومساعدته في المقاومة، وعلى الذين رفضوا أعلن الحرب مستندا إلى فتاوى شرعية جامعة من داخل الجزائر وخارجها، باعتبارهم مرتدين وموالين لدولة كافرة هي فرنسا[1]، وفي مقدمتهم زعيم قبيلة فليتة سيدي العربي، وشيخ قبيلة بني أنجاد القائد الغماري، ومحمد بن نونة الذي حكم تلمسان باسم سلطان المغرب، ومصطفى بن إسماعيل قائد قبائل المخزن[2]، وقبائل عكرمة وبني مديان.. وغيرهم.

واجههم الأمير بالاعتماد على أبناء القبائل الموالية له، فجند منهم حوالي 60000 جندي[3]، فأجبر عدد كبيرا من هذه القبائل على الخضوع لطاعته، حيث هزم زعيم قبيلة فليتة يوم 15 جانفي 1833 بجيش قوامه 5 آلاف مقاتل، واستطاع استمالة ابن نونة في تلمسان بعد مفاوضته، وعينه حاكما عليها تحت سلطته، وقاد معركة مع أحمد بن طاهر قاضي أرزيو في سهل الهبرة بتاريخ 13 أفريل 1833، الذي هزم وتم اعتقاله ثم إعدامه[1].

---

[1] بسام، العسلي: الأمير عبد القادر الجزائري، ط، 3، دار النفائس، بيروت، 1986، ص، 71.

[2] -أحميده، عميراوي: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، منشورات جامعة منتو ري، قسنطينة، 1999، ص، 60.

[3] - إسماعيل، العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص، 36.

[1] - صالح فركوس، موسوعة تاريخ جهاد الأمة الجزائرية، المرجع السابق، ص 76.

انتصارات الأمير عبد القادر على خصومه الداخليين زاد من تخوف العدو الفرنسي؛ خاصة بعد سيطرته على مناطق استراتيجية كانت تحت سلطة هذه القبائل، منها ميناء أرزيو الذي استعمله لربط علاقات دبلوماسية والحصول على تأييد بعض الدول، وكذا شراء الأسلحة والمئونة اللازمة، رغم أن هذا الميناء لم يبق تحت سلطته طويلا بعد أن استرجعته القوات الفرنسية؛ وسيطر على ثلاثة مدن رئيسية هي تلمسان والمدية وملیانة، وشدد الحصار على مدينة مستغانم واقترب أكثر من مدينة وهران مما جعله يكثف محاولات تحريرها واسترجاع ميناء أرزيو.

2- صراعه مع الجنرال دي ميشال

مباشرة بعد تعيينه حاكما عسكريا على وهران بتاريخ 23 أفريل 1833، هاجم الجنرال دي ميشال قبيلة الغرابة لإعادتها تحت سلطة الاحتلال، وهذا ما جعل الأمير عبد القادر يجهز ألف جندي نظامي وعشرة آلاف متطوع لمحاربته، والتقى الجيشان في معركة التينة يوم 27 ماي 1833، استشهد خلالها 80 مجاهدا، وقتل 14 جندي فرنسيا؛ ثم التقيا في معركة عين البريدية بتاريخ 11 جوان، انتهت بتحرير مدينة أرزيو[1]، ثم أعاد دي ميشال الهجوم على قوات الأمير هناك بتجهيز 1400 جندي، استشهد خلال هذه المعركة 20 مجاهدا، وقتل من الفرنسيين 14 جندي، واحتلت بعدها قوات دي ميشال أرزيو ومستغانم، وحدثت عدة مناوشات بين قوات الطرفين قرب أسوار المدينتين دون أن يستطيع الأمير عبد القادر اختراقها[2].

اعتمد بعدها الأمير عبد القادر في حربه مع الجنرال دي ميشال على المقاومة الاقتصادية بفرض حصار إقتصادي على كل من وهران ومستغانم وأرزيو، وهذا كان له تأثير مهلك على القوات الفرنسية " حتى أصبحوا كالطيور الكاسرة يبحثون ويقعون على طعامهم في المناطق الداخلية"[3]، وجعلت الجنرال دي ميشال يبحث عن التفاوض مع الأمير عبد القادر لعقد السلم.

3- معاهدة الأمير مع الجنرال ديميشال 26 فيفري 1834:

سبقت المعاهدة عدة أحداث متعلقة بالأسرى وتبادل للرسائل قبل أن يتفق الطرفان على عقدها، والتي تضمنت عدة بنود في كل النواحي: لكن سنحاول الاقتصار على أهم ما جاء فيها من الجانب العسكري:

- وقف الحرب بين الطرفين مع التزام القائد العام للقوات الفرنسية والأمير عبد القادر للحفاظ على السلم.

---

[1] - Pellissier de Reynaud , Annales Algériennes, Paris 1836-1839, p 348-349.

[2] - صالح فركوس، موسوعة تاريخ جهاد الأمة الجزائرية، المرجع السابق ، ص ص 77-78.

[3] - تشرتشل، المصدر السابق،ص106.

- إطلاق سراح المساجين فورا من الجانبين.
- العسكريون الفرنسيون الفارون يعيدهم العرب، والموقف نفسه اتجاه العرب الفارين من قبائلهم إلى الفرنسيين.
- أعطيت للأمير الحرية الكاملة لشراء الأسلحة من غير الرجوع إلى فرنسا (كبند في المعاهدة السرية).[1]

استغل الأمير عبد القادر هذه المعاهدة لتوسيع دولته وتقويتها وإعادة تنظيم قواته، حيث ضم مناطق في الشرق الجزائري وبعض المناطق محيطة بمدينة الجزائر كمليانة والمدية وشرشال؛ وتفرغ لإخضاع القبائل الثائرة عليه والموالية لفرنسا، كما ركّز على إعادة هيكلة الجيش وتدريبه ليصبح أكثر تنظيما، وتجهيزه بأحدث الأسلحة المستوردة والمنتجة محليا بإنشاء مصانع حربية، ولم ينسى توسيع علاقات دولته مع بعض الدول الأجنبية خاصة الأوربية، ومضاعفة التبادل التجاري مع المغرب وطنجة وجبل طارق وسبتة وغيرها.[2]

4- استئناف القتال بعد نقض معاهدة دي ميشال وأهم معاركه.

بعد عزل "دي ميشال" وتعيين الجنرال "تريزيل" مكانه سنة 1835؛ عقد هذا الأخير مع زعيم قبائل الدوائر والزمالة مصطفى بن إسماعيل اتفاقا عرف باتفاق الكرمة[3]، أو معاهدة الدوائر والزمالة، وذلك يوم 16 جوان 1835[4]، التي تضمنت 12 بندا تنظم تعاونا عسكريا واقتصاديا لهذه القبائل مع السلطات الفرنسية، واعتبر الأمير عبد القادر أن هذا الاتفاق إخلال بما جاء في معاهدته مع دي ميشال بما أن هذه القبائل كانت تحت سلطته، فأعلن الجهاد من جديد ونقض الصلح مع الفرنسيين، ودخل معهم في عدة معارك أهمها:

أ- معركة المقطع:

وقعت في 28 جويلية 1835 بواد المقطع بالغرب الجزائري قرب وهران، انهزم فيها الجيش الفرنسي وتكبد خسائر عسكرية جسيمة وكان لها عدة نتائج أكثر كارثية على الاحتلال، منها:

- زيادة معنويات وثقة القبائل التي ساندت الأمير عبد القادر، ودخول قبائل أخرى في طاعته.
- أحدثت ضجة كبيرة في فرنسا لدرجة أن البعض أصبح ينادي بضرورة انسحابها من الجزائر.

---

[1] - زوزو، عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 74-75.

[2] -أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج، 1، المرجع السابق، ص، 174.

[3] - نفسه، ص 200.

[4] - احميده عميراوي: موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي، المكتبة الوطنية للنشر، الجزائر، 2003، ص 96-98.

- عزل الحاكم العام بالجزائر " دورلون" وكذلك الجنرال " تريزيل"، وتعيين "كلوزيل" للمرة الثانية حاكما عاما بالجزائر، يساعده " لامورسيير" وذلك خلال شهر جويلية 1835.

ومن أجل الانتقام شكل الاحتلال قوة عسكرية هائلة لمهاجمة معسكر عاصمة الأمير، لكن الأمير أمر بإخلائها من سكانها، فاقتحمها العدو في 16 ديسمبر 1835، مدمرا كل ما أمكنه[1]، ثم عاد الجيش الفرنسي إلى وهران، فرجع إليها الأمير مرة أخرى وأعاد بناءها من جديد.

ب- معركتي يسر- تافنا ووادي سكاك 1836.

في شهر جانفي 1836 احتلت القوات الفرنسية مدينة تلمسان دون مقاومة، بعد تواطؤ بقايا الأتراك في المدينة وبعض الزعامات الناقمة على الأمير، الذي ردّ بفرض حصار على كل من وهران وتلمسان، وضرب القوافل الفرنسية بين المدينتين؛ وحاول كلوزيل فك الحصار فخرج من تلمسان في 22 جانفي 1836 نحو تافنة ورشقون بجيش قوامه 4 آلاف مقاتل منهم فرسان من الدوائر والزمالة، وعلم بذلك الأمير فاعترض طريقه عند وادي يسر (الأيسر) وألحق به الهزيمة ليتراجع؛ ولهذا جاءت إمدادات عسكرية كبيرة من فرنسا لمحاولة فك الحصار، بقيادة الجنرال"بيجو" في شهر ماي 1836، والتقى بقواته مع جيش الأمير المرابط على مشارف تلمسان في واد السقاق (سكاك) خلال شهر جويلية 1836، واستطاع الجيش الفرنسي بتفوقه العددي والتقني هزم قوات الأمير عبد القادر وفك الحصار على مدينة تلمسان[2].

ورغم انتصاره في المعركة عرض الجنرال بيجو الصلح على الأمير، لإدراكه صعوبة فرض الأمن والاستقرار في المناطق المحتلة، وبعد الاتفاق على هدنة مؤقتة ومباشرة المفاوضات بواسطة اليهودي "مردخان بن دران"[1]، قبل الأمير بهذا الصلح الذي تمثل في معاهد التافنا 1837.

ثانيا: مرحلة الهدوء ومواصلة بناء الدولة 1837-1839:

جاءت من عدة بنود وشروط، أهمها في الجانب العسكري والسياسي:

- اعتراف الأمير عبد القادر بالسلطة الفرنسية على مدينتي الجزائر ووهران والمناطق المجاورة لهما، بمقابل اعتراف فرنسا بإمارة الأمير عبد القادر وامتدادها على إقليم وهران بما في ذلك مدينة تلمسان

[1] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج، 1، المرجع السابق، ص، 176.

[2] - يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ص41 -42؛ صالح فركوس، موسوعة تاريخ ...، المرجع السابق، ص ص 92-93.

[1] -فتحي دردار: المرجع السابق، ص، 41.

وضواحيها، وإقليم تيطري والمناطق التي لم تكن تحت نفوذ فرنسا في إقليم الجزائر من الشرق.

- يسمح للأمير بشراء ما يحتاجه من الأسلحة والذخائر من فرنسا[1].

استغل الأمير معاهدة التافنا في التفرغ لمواصلة بناء دولته على عدة أصعدة، سياسيا، إداريا، عسكريا، اقتصاديا، اجتماعيا، علميا، دبلوماسيا، ولعل ما ميز الجانب العسكري الاهتمام بالتسليح والتدريب العسكري، وهذا سبق وأن تطرقنا إليه، وكذا إعادة إخضاع القبائل الخارجة عن طاعته لعل أهمها قبائل عين ماضي، التي قاد نحوها جيشا قوامه 6000 من الخيالة، و3000 من المشاة و03 قطع مدفعية وستة مدافع صغيرة يوم 12 جوان 1838م، ووصلها بعد عشرة أيام ، وبعد تعنت قائدها التيجاني ورفضه الانصياع للأمير وتصميمه على القتال، شرعت قوات الأمير في قصفها بالمدافع ابتداء من 02 جويلية 1838[2]؛ وواصل الأمير حصاره لعين ماضي مدّة ستة أشهر، ثم قبِل التجاني التفاوض ابتداء من 17 نوفمبر 1838 واشترط الأمان على نفسه ومن معه، ومهلة أربعين يوما للجلاء عن الحصن، وفي يوم 02 ديسمبر 1838 دخلها الأمير عبد القادر[3].

ثالثا: مرحلة التراجع والاستسلام 1839– 1847:

1– تجدد المقاومة المسلحة بعد نقض معاهدة التافنا سنة 1839.

بعد احتلال الجيوش الفرنسية لقسنطينة في أكتوبر 1837 بدأت مساعي افشال معاهدة التافنا، وبدأت تختلق الحجج والذرائع لخرقها، منها إعادة مناقشة وتعديل بعض بنودها والتعدي على بعض المناطق التابعة لحكم الأمير؛ فرفض الأمير عبد القادر ذلك، وراسل ملك فرنسا معربا له عن أهمية المحافظة على السلم للطرفين، لكن سلطة الاحتلال أصرت على موقفها، فأعلن عبد القادر الحرب ضد فرنسا من جديد[1].

استهدفت هجومات المقاومة الأولى سهل متيجة، ثم التضييق على الحاميات الفرنسية الداخلية والساحلية، فكان رد الفعل الفرنسي يوم 15 مارس 1840 باحتلال شرشال ثمّ المدية بتاريخ 17 ماي 1840 بعد خروج قوات الأمير منها وخلال شهر جوان 1840 تمكّنت من احتلال مليانة.

---

[1] – يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ص 42-43.

[2]-George, Yver, Abdelkader et le Maroc en 1838 , R.A, Année 1919,O.P.U. Alger, 1986 ,p-p 94-96.

[3]–شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق ،ص131.

[1] – نفسه، ص – ص،192-193

يوم 29 ديسمبر 1840 تم تعيين الجنرال "بيجو" كقائد لجيش إفريقية مكان "فالي"، وضع تحت تصرفه 75000جنديا ثم وصلوا إلى 108000 عام 1846[1]، وبدأت القوات الفرنسية في هذه المرحلة تضغط أكثر على جيش الأمير عبد القادر وقواعده، حيث أنه خلال شهر ماي 1841 فقد منها الكثير مثل: بوغار، تازة، سعيدة، في الوقت ذاته كان عبد القادر يحارب المتمردين من الدوابر والزمالة، وهو ما أضعف قدراته العسكرية بشكل كبير.

ولفك الحصار حاول الأمير الاتصال بأطراف خارجية طلبا للدعم ، فاتصل بكل من السلطان العثماني والقنصل الإنجليزي بطنجة وجبل طارق لكن الردود كلها جاءت سلبية، ولم يبق للأمير سوى سلطان المغرب، الذي كان دعمه في البداية لكنه تراجع عن ذلك فيما بعد.

وخلال سنة 1842 شهدت حركة الجهاد معارك ضارية ضد الفرنسيين، كان أبرزها معركة واد فضة في شهر سبتمبر 1842 ضد قوات الجنرال "شانغاريه" والتي تعرضت فيها القوات الفرنسية لخسائر فادحة، وخلال أكتوبر ألحق بها الأمير هزيمة أخرى تحت قيادة "لامور سيير" في منطقة تاجوين؛ ورد الجنرال "بيجو" بعد إعادة تنظيم قواته بتدمير القواعد الخلفية والحصون الخاصة بالمقاومة في مجملها وهو ما دفع بالأمير إلى تأسيس عاصمته المتنقلة الزمالة[2].

2- لجوء الأمير إلى الجهة الشرقية للمغرب الأقصى[1].

اضطر عبد القادر أن يلجأ إلى المغرب الأقصى بعد التضييق عليه من القوات الفرنسية، وهناك جعلها قاعدة لشن الهجومات على الأهداف العسكرية الفرنسية من وراء الحدود مستغلا دعم الشعب المغربي وسلطانه؛ لكن فرنسا لم ترض بذلك وبعد مطالبات بوقف أعمال الأمير وطرده من المغرب ثم تهديد السلطان بالحرب، ولعدم استجابته أعلنت فرنسا الحرب فعلا بقصفها لمدينتي الصويرة وطنجة، ثم خوض معركة واد ايسلي التي انهزم فيها الجيش المغربي، ولقد أعقب هذه المعركة توقيع السلطان المغربي على معاهدة طنجة في سنة 1845.

---

[1] – جلال يحي، السياسة الفرنسية في الجزائر من 1820 إلى 1920، دار المعرفة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1959، ص 145.

[2] – **الزمالة**: عندما استولى العدو على أغلب القلاع والحصون أنشأ عبد القادر عاصمة متنقلة تتألف من خيام مخروطية الشكل، كل خيمة تضم 33 نفرا، وظهرت ما يعرف بالدائرة وسمي ما يخصّه منها بالزمالة وما يخص الأعيان بالدائرة وما يخص الجند بالمحلّة تشتمل على 200 ألف شخص، بعد وقوعها في يد العدو نهبها عن آخرها خاصة مكتبة الأمير؛ مذكرات الأمير ، المصدر السابق، ص109.

[1] – سنخصص في المحور الأخير الخاص بعلاقة المقاومات الشعبية بدول الجوار محاضرة تتضمن علاقة الأمير عبد القادر بالمغرب الأقصى بأكثر تفاصيل.

وجد السلطان المغربي نفسه مضطرا إلى الموافقة على شروط المعاهدة التي من ضمنها ضرورة طرد الأمير عبد القادر، فأبلغه أنه لم يعد بإمكانه مساعدته وعليه العودة إلى الجزائر، وبعد مضايقات ومحاولات اعتقال غادر الأمير المغرب الأقصى؛ ومباشرة بعد دخوله الجزائر هاجم فرقتين فرنسيتين في الغزوات وعين تموشنت قتل منهم الكثير وأسر حوالي مائتين من الجند الفرنسي [1].

كما سجل انتصارات أخرى على القوات الفرنسية في معركة سيدي إبراهيم خلال شهر سبتمبر 1845م التي قتل فيها الجنرال مونتنياك (Montagnac) ومعظم جنوده، ومعركة سيدي موسى التي استسلم فيها الضابط مارين (Marin) وجنوده البالغ عددهم مائتين[2]، ثم انتقل الأمير عبد القادر من الغرب الجزائري إلى منطقة القبائل لمراوغة العدو الفرنسي ثم عاد نحو معسكر ثم نحو تاكدامت، حيث تمكن من تحقيق الكثير من الانتصارات، ثم مر جنوب سبدو وسعيدة ليعود مرة أخرى إلى منطقة القبائل حيث انظم إليه خليفته أحمد بن سالم وبومعزة [3].

وخلال شهر جانفي 1846 قام بمحاولة جريئة لاقتحام العاصمة عن طريق سهول متيجة، وعلى إثر ضغوطات كبيرة من القوات الفرنسية واستسلام بومعزة وبن سالم انسحب عبد القادر باتجاه الجنوب في منطقة العمور وأولاد نايل وأولاد سيدي الشيخ أين حظي باستقبال وإكرام؛ ثم ارتحل نحو دائرته بشرق المغرب الأقصى برفقة من بقي معه من المجاهدين[1].

3- نهاية مقاومة الأمير 1847.

في المغرب الأقصى وجد الأمير عبد القادر هذه المرة صعوبة في الاستقرار وإعادة تنظيم قواته بسبب تعهد السلطان للفرنسيين بعدم مواصلة دعمه، حيث قام السلطان بتحريض القبائل المغربية لمقاتلته، وبعد أن انتصر الأمير عليها تجهز السلطان وولي عهده بجيش المخزن لمقاتلته ومطاردته بالتعاون مع الجيوش الفرنسية، ووقع بين الطرفين أربعة معارك انسحب بعدها الأمير عبد القادر إلى الجزائر، أين وجد القوات الفرنسية في انتظاره ، لكن استنزاف قوته العسكرية وتراجع عدد جنوده وشعوره بالإرهاق الجسدي والنفسي

[1] – قدور بن علي بن البشير اليزناسي العتيبي الورطاسي الحسني، بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني، ط1، دار المغرب، الرباط، 1976، ص75.

[2] – يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 52-53.

[3] – العربي اسماعيل، المقاومة الجزائرية، المرجع السابق، ص 295

[1] - يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع نفسه، ص53.

وخوفه على مصير ما بقي من جنوده وعائلاتهم من تنكيل الجيش الفرنسي كان كافيا لقبوله التسليم للقوات الفرنسية يوم 27 ديسمبر 1847[1].

4- أسباب فشل مقاومة الأمير عبد القادر.

- تعاظم قوة وعدد الجيش الفرنسي، بالإضافة إلى وضعه تحت قيادة ضباط وجنرالات من أنصار الحركة الاستعمارية المتعطشين إلى سفك الدماء وارتكاب المجازر واتباع سياسة الأرض المحروقة وحرب الابادة ضد الشعب الجزائري.
- عصيان وتمرد القبائل، ورغم تمكنه من إخضاع العديد منها إلا أن هذا أضعف قواه، وأكبر مثال حصاره لعين ماضي الذي استنفذ الكثير من ذخيرة مدفعيته.
- غياب الدعم من الدول الصديقة والشقيقة كالمغرب والدولة العثمانية رغم إلحاحه في مراسلاته لهم.
- إطلاع الفرنسيين على مخططاته العسكرية بعد توظيف العديد من العملاء والجواسيس على تحركات الأمير وخططه في مقدمتهم مستشاره ليون روش[2]، وعمر بن فراث الذي دل الدوق دومال على مكان تواجد زمالة الأمير عبد القادر سنة 1843.

مكنت نهاية مقاومة الأمير عبد القادر الفرنسيين من السيطرة على مناطق عديدة من جهة الغرب الجزائري والوسط وحتى الشرق، ولكنها أجلت ذلك وصعّبته حتى أن هذه المقاومة هددت فعليا الوجود الفرنسي بالجزائر وأدخلت الشكوك في نفس الساسة الفرنسيين وقادتهم العسكريين؛ وأصبحت شخصية الأمير عبد القادر بفضل استبساله في المقاومة وحنكته السياسية والعسكرية أسطورة أثناء حربه مع الفرنسيين وبعدها، حيث نال احترام العدو قبل الصديق، وكان مثالا يحتذى به في طريقة المعاملة خاصة مع الأسرى، واستمرت جهوده في خدمة الانسانية حتى في معتقله بفرنسا وفي منفاه بدمشق إلى غاية وفاته هناك في 26 ماي 1883م.

---

[1] - نفسه، ص 53-56.

[2] - **ليون روش**: ولد في مدينة غرونوبل بفرنسا في 27 سبتمبر 1809، كان واسع الطموح ميالا للمغامرة، بدأ في الجيش الفرنسي برتبة ملازم في فرقة فرسان الخيالة بالجزائر، تعلم اللغة العربية، أصبح ترجمانا محلفا للجنة الإفريقية التي زارت الجزائر من أجل الحقيق سنة 1833، ثم أصبح مترجم رئيسي محلف، واستعمله الجيش الفرنسي في عدة مهام للجوسسة على الجزائريين وحتى خارج الجزائر في ليبيا والمغرب، أهمها مهمته مع الأمير عبد القادر، توفي في 26 جوان 1901؛ أنظر: يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 13-17.

المحور الرابع

استمرار مقاومة

خلال القرن 19م

المحاضرة العاشرة

أهم المقاومات الشعبية بعد مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي

شكلت مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي صفحة بارزة في تاريخ مقاومة الشعب الجزائري للاحتلال الفرنسي خاصة في بدايته، وشكلت نهاية مقاومتهما خيبة كبيرة للشعب الجزائري وضربة لأمالهم في طرد الاحتلال؛ لكن هل انتهت المقاومة الشعبية بمجرد استسلام أحمد باي والأمير عبد القادر؟ ألم يكن هناك قادة مقاومات أخرى عاصروا الأمير والباي؟ من هم أشهر من قاد المقاومة بعدهما؟ وإلى متى استمرت المقاومة الشعبية المسلحة؟

أولا: زعماء مقاومة عاصروا الأمير عبد القادر وأحمد باي:

طغت مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي على ساحة المقاومة في المرحلة الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر إلى غاية 1848، لبروز شخصيتهما وقوة جيشهما واتساع رقعة سلطتهما، كما أنهما كانا يمثلان كل على حدا جهة من البلاد، فنجد ذكرا بسيطا لمن عاصرهما من قادة المقاومات الشعبية.

"ومن ضمن مَن بَرز للمقاومة في هذه المرحلة الأولى إلى جانب هذين البطلين، الحاج مصطفى بن التهامي صهر الأمير عبد القادر، والشريف بومعزة، ومحمد بن عبد السلام المقراني، والحسن بن عزوز، ومحمد الصغير بن عبد الرحمن، والشيخ الحسناوي الحناشي، والشريف مولاي محمد، والحاج موسى الأغواطي، والشيخ بن شابيرة البوسعادي، وذلك في جبال الونشريس والظهرة والأطلس التيطري والبليدي والبيبان والحضنة والبابور والأوراس وفي وادي سوف والمسيلة وبوسعادة وبسكرة وبجاية وغيرها"[1].

ثانيا: المقاومات الشعبية ما بين 1848 و1900

برز خلال هذه الفترة عدد كبير من الزعماء الذين قادوا الكفاح المسلح مباشرة بعد نهاية مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي، وتزعموا ثورات وتمردات وانتفاضات ضد جيش الاحتلال الفرنسي، اختلفت في الظروف والوسائل، في طول مدتها، في عدد الضحايا، وفي نتائجها، لكن أهدافها كانت واحدة تمثلت في طرد الغزاة الاستعماريين وتحرير البلاد واستعادة حريتها واستقلالها الوطني[2].

---

[1]- يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، ص21.

[2]- نفسه، الصفحة نفسها..

حيث برز الشيخ أحمد بوزيان والحاج موسى الأغواطي في واحدة الزعاطشة جنوب غرب بسكرة في عام 1849، وقادوا ثورة بطولية أعطت أمثلة في التضحية والصمود رغم انعدام الامكانيات المادية، وبدأت بانتصار أهالي بسكرة في معركة سريانة شهر سبتمبر 1849، ثم تعرضت القرية للقصف، وقطعت أزيد من 10 آلاف نخلة مصدر رزق السكان، مما مكن القوات الفرنسية من اقتحام القرية وإبادة سكان الواحة حتى أطفال والنساء والشيوخ؛ وقبل ذلك صمد السكان، واشتبكوا مع الجند الفرنسيين بالسلاح الأبيض في الدروب والأزقة وكبدوا القوات الاستعمارية خسائر كبيرة مادية وبشرية، وألقي القبض على الشيخ بوزيان ، والشيخ موسي الدرقاوي، في يوم 26 نوفمبر1849م، فأمر الجنرال "هيربيون (Herbillon)" بقطع رؤوسهم، وتعليقهم على أبواب مدينة بسكرة عدة أيام[1].

وفي الأغواط وورقلة وتُقُرْت وحوض واد سوف برز الشريف محمد بن عبد الله ورفاقه في مطلع عقد الخمسينات وخاضوا معارك بطولية ضد كتائب الجيش الفرنسي التي كان يقودها كل من بيليسين ومكماهون، ويوسف المملوك[2] وغيرهم من الضباط والعقداء وتمكنوا من الاستقلال بالمنطقة مدة من الزمن إلى أن اهتدى الفرنسيون إلى الاستعانة بسي حمزة ولد بوبكر وسيدي الشيخ وقومه، وكافؤوه على عمله معهم بتعيينه خليفة لهم على كل الجنوب الوهراني[3].

وخلال نفس الفترة ظهر الثائر بن ناصر بن شهرة بحكرته الثورية في كل واحات الجنوب من فقيق غربا إلى إقليم الجريد التونسي شرقا، وتعاون مع ثوار أولاد سيد الشيخ بالجنوب الوهراني في الستينات كما تعاون مع المقراني والحداد عام 1871 عندما امتدت ثورتهم إلى الصحراء[4].

---

[1] _ Herbillon Émile (Général), Insurrection survenue dans le sud de la province de Constantine en 1849 : relation du siège de Zaatcha. Librairie militaire, Paris, 1863, p 187-190.

[2] – **يوسف المملوك** :ولد بإيطاليا حوالي 1808 تعرض لعملية قرصنة بحرية حول تونس، و أصبح مملوكا في قصر باي تونس، فر من تونس غداة احتلال مدينة الجزائر 1830 والتحق بجيش الاحتلال، تقلد رتبة نقيب و لعب دورا أساسيا في احتلال عنابة 1832 ، قلده المارشال كلوزل منصب باي في إطار الحرب النفسية التي شنها الفرنسيون ضد الحاج أحمد باي قبل 1836 ، شارك في احتلال قسنطينة، قلده الجنرال بيجو رتبة عقيد 1842 و كلفه بقيادة فرقة الصبايحية، اشتهر بقيادة طوابير الموت، تقلد رتبة جنرال في 1856 ، شارك في الحملة الكبرى على جرجرة في 1857 ، توفي في 16 مارس 1866 ؛ أنظر: Narcisse, Livre d'Or, OP.cit , P 591-592.

[3] - Henri charles lavauzelle, En Algérie les Ouled Sid-chikh, Imprimerie Librairie Militaire, Paris, 1891, p 7-9.

[4] – يحي بوعزيز، وثائق جديدة عن ثورة بن ناصر بن شهرة 1851-1875، مجلة الثقافة، عدد31، فبراير – مارس، 1976، ص 39-48.

وفي أواخر الستينات ظهر الشريف بوشوشة بحربه الثورية في إطار ما عرف بجماعة "المداقانا"[1] وتعاون مع بن شهرة والمقرانيين وأثاروا كل من سكان الواحات الصحراوية انطلاقا من عين صالح[2].

وفي جبال جرجرة والبابور وحوض الصومام برز الشريف بوبغلة، والشريف بوصبع، وبوحمارة، ومولاي براهيم، والحاج عمر وفاطمة نسومر، وخاضوا حروبا طاحنة ضد قوات الجيش الفرنسي وفتكوا بالكثير منها وكلفوها ضحايا وخسائر كبيرة، ولم تستطع أن تتوغل إلى أعماق جرجرة وقراها إلا بعد أن جند الفرنسيون عشرات الآلاف من الجنود، وكلفوا الجنرال راندون (Randon) باقتحام المنطقة في ربيع وصيف عام 1857 بعد أن عادت قواتهم العسكرية من حروب شبه جزيرة القرم شمال البحر الأسود وفي شرق البحر الأبيض المتوسط[3].

وفي جبال الحضنة وبريكة والخنقة وبسكرة برز محمد بوخنتاش البراكتي، والشيخ الصادق الرحماني أواخر عقد الخمسينات وقادا السكان إلى الكفاح المسلح ضد القوات الاستعمارية في معظم مناطق الهضاب العليا الشرقية وأبدوا من الشجاعة والبطولة والفداء ما جعل شعراء الملحون يتغنون بمعاركهم ومنها "معركة أم حمام"[4].

وفي الغرب الوهراني برز الإخوة الأربعة: سليمان، ومحمد، وأحمد، وقدور زعماء ثورة أولاد سيد الشيخ التي اندلعت عام 1864 وامتدت إلى عام 1883، وعمت كل الغرب الوهراني ومعظم واحات الصحراء الجنوبية من فقيق غربا إلى واد سوف شرقا وتدعمت هذه الثورة بعمي الإخوة الأربعة: سي الأعلى وسي الزبير، وبإبراهيم بن عبد الله، والفضيل بن علي، في مناطق أولاد نايل والحضنة، كما تدعمت بثورة سكان عروش فليتة بجبال الونشريس، وحوض الشلف، وجبال الظهرة، بزعامة الشيخ المتصوف سي الأزرق بلحاج، وسي عبد العزيز، وعمت كل المنطقة ومد زعمائها أيديهم إلى ثوار أولاد سيد الشيخ، وتضامنوا ضد قوات الاحتلال الفرنسي[5].

وفي الوقت الذي اندلعت فيه ثورة أولاد سيد الشيخ بالجنوب الوهراني عام 1864 اندلعت ثورة سكان الزواغة وفرجيوة بجبال البابور، والشمال القسنطيني، بزعامة وقيادة زعماء أسرة أولاد بن عز الدين في الزواغة، وأسرة بن

---

[1] – **المداقانا:** هي جماعة تأسست في تدكيليت بالصحراء عام 1869، كانت تغير على القبائل، ووصفها المؤرخ "لوشاتولييه" أنها جماعة دأبت على اختراق الصحراء لممارسة السطو والخطف، أنظر: يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ص 226-227.

[2] – يحي بوعزيز، أضواء على كفاح الشريف بوشوشة، مجلة الثقافة، عدد34، أغسطس – سبتمبر، 1976، ص 85-99.

[3] – يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص23

[4] – يحي بوعزيز، نماذج من مقاومة سكان الواحات، مجلة الأصالة، عدد41، جانفي 1977، ص 117-134.

[5] – يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع نفسه، ص24.

عاشور في فرجيوة، وكان ضمن حوافزهم ثورة إخوانهم في الغرب الوهراني، وثورة علي بن غداهم ورفاقه في تونس ضد الباي التونسي الذي أصبح لعبة في أيدي القناصل الأوربيين الأجانب[1].

وفي أواخر عام 1870 اندلعت حركة لبن خدومة في منطقة سور الغزلان وامتدت إلى جبال جرجرة وحوض الصومام وكانت بمثابة بداية وتمهيد لثورة المقراني والحداد عام 1871 والتي عمت كل الشرق الجزائري ووسطه، ومن مليانة وحجوط، وشرشال غربا، إلى القل وسوق أهراس شرقا، وإلى عين الطيبة في أعماق الصحراء جنوبا، وتجند فيها كل السكان وخاضوا أكثر من 340 معركة كبيرة فضلا عن المعارك الصغيرة والجانبية، ودامت ثورتهم قرابة عام، كبدت جيش الاحتلال خسائر كبيرة وفادحة في الأرواح والعمران وفي الإمكانيات الاقتصادية، ومن أبرز زعمائها الباشاغا محمد المقراني، وأخوه بومرزاق، والشيخ محمد الجغدي، ومحي الدين بن الأمير عبد القادر، وزعماء عائلة رزقي، وأولاد خليفة، بالشريعة وتبسة، وزعماء بني مناصر في منطقة شرشال، وأولاد غيدون في الميلية، وسكان بلزمة في الأوراس.

وشارك في هذه الثورة حتى الصبايحية الموظفون في القوات الفرنسية في زمالات مجبر والطارف وعين قطار وبوحجار في وسط البلاد وشرقها.

وفي عام 1876 اندلعت ثورة سكان واحة العمري جنوب شرق بسكرة بزعامة الشيخ محمد يحي، والمقدم الرحماني الشيخ عايش، وأبدى السكان بطولة وشجاعة منقطعة النظير رغم العزلة وانعدام الامكانيات المادية كالمؤن والأسلحة[2].

وبعد ثلاث سنوات من هذه الثورة اندلعت ثورة سكان جبال الأوراس الغربية عام 1979 بزعامة الشيخ المقدم الرحماني محمد أمزيان المدعو بوبرمة، وتحولت جبال وشعاب المنطقة وقراها إلى معاقل للثورات والمجاهدين الذين ضحوا بكل ما لديهم في سبيل إنجاح قضيتهم الوطنية، وعانوا وتحملوا الكثير من الأتعاب والمشاق والمآسي[3].

وفي عام 1881 اندلعت ثورة الشيخ بوعمامة في الجنوب الوهراني مرة أخرى كامتداد لثورة أولاد سيد الشيخ الأولى عام 1864 ودامت إلى مطلع القرن العشرين.

---

[1] – يحي بوعزيز، المجهولون من زعماء المقاومة في الشرق الجزائري، مجلة الأصالة، عدد54–55، فبراير 1978، ص 31–58.

[2] – يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص24–25.

[3] – يحي بوعزيز، انتفاضة سكان الأوراس الغربية عام 1879، مجلة الأصالة، عدد60–61، سبتمبر 1978، ص 223–233.

ثالثا: تواصل المقاومات الشعبية بعد نهاية القرن 19م

ومع بداية القرن العشرين قامت سنة 1901 إنتفاضة في عين تركي قرب مدينة مليانة، إلا أن الثوار قمعوا بقوة من طرف العدو، وعلى إثر هذه الثورة صدرت قرارات بتاريخ 29 مارس و28 ماي 1902، تقضي بإنشاء المحاكم القمعية الرادعة[1].

وفي عين بسام سنة 1906 شن المجاهدون هجومات على مراكز الدرك الوطني، وامتدت الانتفاضة إلى العديد من القرى، وطالب الثوار بتطبيق العدالة، لكن تدخل القوات الفرنسية المتفوقة أنهى الحركة سريعا، من أهم نتائجها صدور قرار جونار 1908 الذي قضى بمنع الجزائريين من أداء فريضة الحج لعزلهم عن تطورات الشرق الأدنى السياسية والاصلاحية[2].

وخلال الحرب العالمية الأولى شهدت الجزائر عدة اضطرابات وثورات مناهضة للتجنيد الإجباري أو مستغلة لظروف الحرب، حيث قامت ثورة بني شقران في ضواحي مدينة معسكر سنة 1914، وتلتها العديد من الاضطرابات وحرب العصابات من القبائل إلى غاية جنوب وهران، كما اندلعت ثورة الأوراس في آخر سنة 1916[3]، وكانت كل هذه الثورات والاضرابات بالدرجة الأولى نتيجة سياسة فرنسا في إجبار الجزائريين على التجنيد ووضعهم في الصفوف الأولى لحرب لا دخل لهم فيها، وادعت فرنسا أن هذه الاضطرابات كانت بسبب الدعاية الألمانية–العثمانية رغم أنه لم يكن لها سوى أثر محدود، خاصة في ثورة الجنوب والهقار التي اندلعت سنة 1916[4].

ويوضح الجدول التالي أهم المقاومات الشعبية في الجزائر بتفاصيل أكثر منذ انطلاقتها إلى غاية نهايتها:

	المقاومة	إطارها الزماني	إطارها المكاني	القيادة
01	مقاومة متيجة	1832-1830	منطقة المتيجة	الحاج سيدي السعدي ابن زعموم

[1] - Charles Robert Agéron, Histoire de l'Algérie contemporaine, Tome 2 : De l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de libération 1954, Paris, 1979, P67.

[2] – بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص ص 32-313.

[3] – صالح فركوس، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 242.

[4] – ناصر بلحاج، دور الدعاية العثمانية الألمانية في رفض التجنيد الإجباري في الجزائر والدعاية الفرنسية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد3، جامعة غرداية، 2008.، ص 6-7.

02	مقاومة الأمير عبد القادر	22 نوفمبر 1832 إلى ديسمبر 1847	التيطري، سبدو، الزيبان، بسكرة، الصحراء، مليانة، معسكر، تلمسان	الأمير عبد القادر الطريقة القادرية
03	مقاومة أحمد باي	1830-1848	قسنطينة، بايلك الشرق	أحمد باي
04	مقاومة الشريف بو معزة	1844-1847	الظهرة، الونشريس، مستغانم، الحضنة، أولاد رياح..	محمد بن عبد الله الملقب بومعزة
05	ثورة الزعاطشة	1848-1849	الأوراس، الزيبان، الزعاطشة، بسكرة، بوسعادة	الشيخ بوزيان والشريف بوعمار
06	مقاومة الأغواط وتوغرت	1852 – 1854	الأغواط، توقرت، تيارت، غرداية	الشريف محمد بن عبد الله بن سليمان
07	ثورة الشريف بوعود ومولاي إبراهيم	1845- 1853	سور الغزلان، جرجرة، القل، جيجل، ..	الشريف بوعود ومولاي إبراهيم
08	حركة[1] سي قويدر التيطراوي وابنه المختار	1854-1855	بني راثن، بني منقلات بالقبائل	سي قويدر التيطراوي وابنه المختار بوحمارة
09	ثورة القبائل	1851-1857	منطقة القبائل، بجاية، تيزي وزو، البويرة، بومرداس، بني ايراثن، بني عيسى آيت تاوريرت	لا لا فاطمة الشريف بوبغلة
10	ثورة الأوراس	1858	الأوراس، الوادي الكبير، خنشلة، عين البيضاء، بسكرة.	محمد بن عبد الله
11	ثورة بني سناسن	1859	بني سناسن، الغزوات، تلمسان.	/
12	حركة سي الصادق	1858-1859	الخنقة وبسكرة	سي الصادق
13	حركة محمد بوخنتاش	1860	المسيلة والحضنة	محمد بوخنتاش
14	ثورة زواغة وفرجيوة	1864	البابور	/
15	ثورة أولاد سيد الشيخ	1864-1880	واحة البيض سيدي الشيخ، جبل عمور، سور الغزلان، تيارت، فرندة، سعيدة	سليمان بن حمزة، معمر بن الشيخ بن طيب. زاوية أولاد سيد الشيخ
16	ثورة جنود الصبايحية والكلبوتي	جانفي 1871	سوق أهراس، القالة...	محمد بن الطاهر بن رزقي الكبلوتي
17	ثورة أولاد عبدون	14 فبراير 1871	قبيلة أولاد عبدون، الميلية.	/
18	ثورة المقراني والحداد	1871 – 1872	برج بوعريريج، العلمة، سطيف، البويرة، تيزي وزو، بجاية، بومرداس.	المقراني، الشيخ الحداد، بومزراق؛ الزاوية الرحمانية.
19	ثورة بني مناصر	1871	شرشال، مليانة	/

[1] – مصطلح "حركة" أو "أحداث" استعمله الدكتور يحي بوعزيز لوصف بعض المقاومات الشعبية التي لا تصل لدرجة الثورة أو التي هي مرتبطة بثورة أخرى وهذا حسب ملاحظاتنا خاصة من خلال كتابه "ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين".

20	ثورة الشريف بوشوشة	1869-1874	توات، ورقلة، عين صالح، تقرت	الشريف بوشوشة
21	ثورة بن ناصر بن شهرة	1851-1975	الأغواط – الجريد التونسي	بن ناصر بن شهرة
22	ثورة واحة العمري	مارس-أفريل 1876	واحة العمري، الزيبان، قبيلة بوعزريد.	الشيح محمد بن يحي بن عياش
23	ثورة الأوراس	ماي 1876 إلى جوان 1879	الأوراس، أولاد تالة، أولاد داود، بني بوسليمان، خنشلة، عين البيضاء، بسكرة.	حمد أمزيان بن عبد الرحمن
24	ثورة الشيخ بوعمامة	أفريل 1881 إلى 1904	عين الصفراء، تيارت، فرندة، سعيدة، عين صالح، توات، قورارة، كرزاز	بوعمامة بن عربي بن تاج السنوسية، الطيبية، الكرزازية
25	انتفاضة مسيردة	1890	مسيردة، مغنية، تلمسان، لعشاش، جبالة، ندرومة، سواحلية، الغزوات	الشيخ الخضير محمد
26	انتفاضة عين التركي	1901	مليانة، شرشال، تيبازة، البليدة، الحجوط، تنس	يعقوب بن الحاج
27	انتفاضة باتنة	1902	باتنة خنشلة، بسكرة، بريكة، سطيف، مروانة، ميزاب	الشيخ عبد السلام
28	انتفاضة عين بسام	1906	عين بسام	/
29	ثورة بني شقران	1914	بني شقران، باريغو(المحمدية)، معسكر، هاشم	الشيخ بن علي بن النوي
30	مقاومة الصحراء	منذ 1906 إلى فبراير 1919	ميزاب، ورقلة، القطارة، الهقار، جانيت، تندوف	أحمد سلطان الشيخ عبد السلام
31	انتفاضة الأوراس	1916-1917	عين مليلة، باتنة، عين فكرون، خنشلة، بريكة، مروانة، عين توتة	بن علي بن نوي الشيخ مقدم زغان

الجدول رقم 01: أهم المقاومات الشعبية في الجزائر[1]

[1] - عبد القادر جيلالي بلوفة، المقاومة الشعبية، المرجع السابق؛ سعيد بورنان، المرجع السابق، ص ص 31-32.

المحاضرة الحادية عشر

خصائص ومميزات المقاومات الشعبية

امتدت مقاومة الشعب الجزائري للاحتلال الفرنسي في إطار المقاومات الشعبية السلمية والمسلحة على مدار قرابة القرن من الزمن، وكان هذا الأمر ميزة وخاصية فريدة في تاريخ مقاومة الشعوب للحركة الاستعمارية الأوربية، لكن المقاومة الشعبية الجزائرية تميزت بخصائص أخرى كثيرة؛ فما هي أهمها؟

1- التنوع والمرحلية:

تميزت المقاومات الشعبية المسلحة في الجزائر بطابع المرحلية، وكل مرحلة لها مميزات، وهي كالتالي:

المرحلة الأولى 1830- 1848 : وهي مرحلة المقاومة (Résistance) بمعناها الخاص كما جاء في أشكال المقاومة سابقا، وهي المرحلة المقاومات الشعبية الكبرى التي حاولت منع الاحتلال الفرنسي من التوغل وأهمها مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي وغيرهما وقد كانت المدن مراكز المقاومات في هذه المرحلة أكثر من الأرياف[1]؛ كما تميزت هذه المرحلة إضافة إلى المقاومة الشعبية المسلحة بالمقاومة السلمية السياسية التي عدة شخصيات مثل حمدان بن عثمان خوجة والمفتي العنابي وأحمد بوضربة وآخرين. [2]

المرحلة الثانية 1848- 1871 : تبدأ هذه المرحلة بعد سيطرة الجيش الفرنسي على شمال الجزائر وإنهاء مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي، وبداية مقاومات شعبية أخرى حاولت منع تقدم القوات الفرنسية نحو الداخل، كما شهدت ثورات وانتفاضات الشعبية في المناطق التي سبق وأن سيطر عليها الاحتلال وإن تميز أغلبها بالعفوية وقصر المدة الزمنية وانحصار انتشارها مكانيا؛ كما تميزت هذه المرحلة بانتقال المقاومة من المدن التي سيطر الاحتلال على أغلبها إلى القرى والأرياف وكذلك الجبال ثم الصحراء. [3]

المرحلة الثالثة 1871- 1916 : وتبدأ مع بداية الحكم المدني وقوانينه التعسفية في حق الشعب الجزائري، ما تسبب في اندلا ع ثورات انتفاضات أكبر مثل ثورة المقراني والشيخ الحداد وثورة الأوراس، ومنها عودة ثورة أولاد سيد الشيخ تحت قيادة الشيخ بوعمامة سنة 1881 وثورة الطوارق وغيرها.

---

[1]- محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، ط3، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر (د.ت)، ص23.

[2]- إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص13

[3]- نفسه، ص14.

2- التعدد، التواصل والتزامن:

لم تشهد الجزائر منذ بداية الاحتلال الفرنسي سنة 1830 وفي معظم مناطقها هدوءا إلى غاية سنة 1920؛ وربما كانت أكثر المراحل هدوءا تلك التي تلت مقاومة الشيخ بوعمامة من سنة 1908 إلى 1912، ويحصي بعض المؤرخين عدد المقاومات الشعبية المسلحة في الجزائر بحوالي 160 مقاومة[1]، وهناك إحصائيات تشير أن عدد المعارك التي شهدتها المقاومات الشعبية مجتمعة تجاوز ألفين دون ذكر الاشتباكات الخفيفة، حيث عرفت ثورة المقراني لوحدها 340 معركة، بمشاركة أكثر من مليون مجاهد جزائري[2]، ويعبّر التواصل بين المقاومات على وجود عنصر الشعور بالخطر المشترك وبداية الشعور بوحدة المصير أمام العدو الأجنبي[3].

كما تميزت المقاومات الشعبية المسلحة بالتزامن، أي قيام مقاومتين أو أكثر في الفترة الزمنية نفسها، مثل تزامن مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي، وفي نفس الفترة ثار بومعزة سنة 1845، وغيره في مسيردة والغزوات ومغنية وسبدو سنة 1846، وتزامنت ثورة الشريف بوعود ومولاي براهيم في مناطق الونشريس والظهرة والتيطري (1845-1853)، مع ثورة الشريف محمد بن عبد الله في الأغواط وتوغرت (1852-1854)، وكذلك مع ثورة بوبغلة ولالا فاطمة نسومر في القبائل (1851-1857) ... والجدول الموالي يحصي عدديا تزامن بعض المقاومات الشعبية المسلحة في الجزائر حسب العشرية وعلى مدى تسعين سنة.

العشرية	1830-1839	1840-1849	1850-1859	1860-1869	1870-1879	1880-1889	1890-1899	1900-1909	1910-1919
عدد المقاومات	3	5	8	5	9	2	2	4	3

الجدول رقم 02: تزامن المقاومات الشعبية في الجزائر حسب العشرية[4]

ويلاحظ من خلال **الجدول رقم 02** أن المقاومات الشعبية كان عددها في تصاعد بداية من عام 1830 إلى غاية عام 1870 أين بلغت ذروتها، ثم بدأت تتراجع، خاصة مع فشل ثورات سنة 1871 التي كان الشعب

[1] - سعيد بورنان، المرجع السابق، ص13، نقلا عن: وزارة الإعلام والثقافة، كيف تحررت الجزائر؟، الجزائر، 1979، ص 21.

[2] - العربي منور، المرجع السابق، ص 281.

[3] - رابح لونيسي، تاريخ الجزائر وآخرون، دار المعرفة المعاصر (1830-1989)، للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 70. 2009،

[4] - من إنجاز الباحث (والجدول تقريبي ليس دقيق).

الجزائري يأمل في تحقيها هدف طرد الاحتلال الفرنسي، وعات الثورات للظهور مع بداية القرن العشرين، ربما بسبب موجة الإصلاح الديني التي وصل صداها إلى بلاد المغرب العربي، وبسبب التغيرات السياسية في الجزائر وفرنسا والعالم.

3- الامتداد والشمول:

كانت حركة الغزو الفرنسي في كل اتجاه وبشكل متواصل، ولذلك كانت حركة مقاومة شعبية مسلحة في كل مكان تصل إليه القوات الفرنسية رافضة قبول الهزيمة النهائية [1]، وشهدت بعض المناطق قيام الثورات لأكثر من مرة على فترات زمنية مختلفة وأحيانا بشكل أشد وقعا وتأثيرا وانتشارا مما سبق [2]؛ وقدرت جغرافية المقاومات الشعبية بأكثر من 70% من مساحة البلاد، وتناسبت في حركيتها وتطورها مع تقدم الاحتلال وتوغله[3].

وتميزت بعض المقاومات الشعبية المسلحة بخاصية الامتداد والشمول بمفردها، حيث عرفت بجهة معينة من البلاد، مثل مقاومة الأمير عبد القادر التي عرفت بجهة الغرب[4]، واعتبرت ثورة المقراني والشيخ الحداد سنة 1871 الأكثر امتدادا وشمولا رغم قصر مدتها.

4- بين العفوية والتنظيم:

تكون بعض المقاومات الشعبية المسلحة أحيانا عفوية وفجائية، لكن عادة يقوم شيوخ القبائل والزعماء الدينيين بالتحظير لها من قبل وتنظيمها قبل تفجيرها [5]، وعرفت المرحلة الأولى من المقاومة الشعبية في الجزائر المقاومات الأكثر تنظيما كما سبقت الإشارة إليه وهي مقاومة الأمير عبد القادر ومقاومة أحمد باي، وتميزت بطول مدتها وانتشارها الواسع وقوة قيادتها وكثرة عدد المجاهدين فيها، على عكس الغير منظمة والعفوية.

وتشهد القبلية أو المنطقة التي تحضر نفسها للمقاومة أو الثورة تغييرات عديدة وحركة غير عادية مثل زيادة النشاط الديني ورفض الاستجابة لأعمال السخرة وأداء الضرائب لسلطة الاحتلال، وكثرة اقتناء الأسلحة وتنظيم

---

[1] إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 29-30.

[2] – محمد الطيب العلوي ، المرجع السابق، ص 35-38.

[3] – جيلالي بلوفة عبد القادر، المقاومة الشعبية الجزائرية...، المرجع السابق، ص49.

[4] – إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 21-22.

[5] – Chentouf Tayeb, les résistances armés au 19 eme siècle « essai de synthèse », Cahiers maghrébins d'histoire, institut de sociologie, laboratoire d'histoire de l'Algérie de l'Afrique et de la méditerrané occidentales, N°1, Décembre 1987, p116.

الجيش وتدريبه، وأحيانا حسن استغلال الظروف والأحوال العامة الداخلية والدولية، كمشاركة الجيش الفرنسي في حروب مع دول أخرى[1]؛ أما المقاومات الشعبية العفوية التي ندعوها عادة بالانتفاضات فهي تخلوا من أي استعداد فّعال وتخطيط ملائم، وعادة ما تكتفي بعنصر القرابة والنسب[2].

5- الطابع السياسي والسلمي للمقاومات الشعبية:

استعمل بعض قادة المقاومات الشعبية المسلحة إضافة للأسلوب الحربي المسلح طرقا سياسية في مجابهة ومواجهة الاحتلال الفرنسي، من خلال اجباره على الدخول في مفاوضات سياسية، لفرض بعض المطالب والشروط، مثلما فعل الأمير عبد القادر وانتزع اعتراف فرنسا بدولته وسلطته عليها.

واتسم نشاط قادة المقاومات الشعبية بالطابع السياسي السلمي من نواحي أخرى مثل المراسلات والبعثات التشاورية والاخبارية سواء بين قادة المقاومات لتوحيد الجهود أو طلب الدعم، أو تقصي أخبار الجيش الفرنسي، هذا ما قام به أحمد باي مثلا لطلب المساعدة والدعم العسكري من شيوخ القبائل، ولصالح الأمير قام بها وزراء له مثل الحسن بن عزوز، والشيخ الحسناوي، وبعض مراسلات كانت نحو الخارج البلاد مع الباب العالي وملوك وزعماء دول عربية وأوربية، وهذا الأمر قام به العديد من قادة المقاومات الشعبية المسلحة على رأسهم الأمير عبد القادر وأحمد باي[3].

6- المقاومات الشعبية بين التحالفات والصراعات:

شهدت المقاومات الشعبية المسلحة في الجزائر أمثلة عديدة من التحالفات بين قادتها كما عرفت حالات من الصراعات ومواجهات عسكرية فيما بينها، والأمثلة عديدة، فبعد إبرام الأمير عبد القادر معاهدة ديميشيل مع الفرنسيين سنة 1834، حاربه الحاج موسى الأغواطي بداية من شهر أبريل 1835، بدعوى أن الأمير تخلى عن الجهاد[4]، وأحسن مثال خلاف الأمير عبد القادر مع أحمد باي الذي سنفصل فيه لاحقا.

وأمثلة التحالفات كذلك كثيرة، حيث اتحد الشريف محمد بن عبد الله المدعو بومعزة مع زعيم الثورة في أراضي فليتة سنة 1845 المدعو مولاي محمد، وامتدت ثورتهما لتشمل المناطق الممتدة بين وادي ملوية غربا إلى الأوراس

---

[1] – أحمد عبيد، التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية (الجزائر، تونس، المغرب)، ابن نديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 46-48.

[2] – يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 134- 137.

[3] – سعد طاعة، الفكر السياسي والدبلوماسي عند الأمير عبد القادر، مقال منشور في كتاب جماعي بعنوان: الأمير عبد القادر عبقرية في الزمان والمكان، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر،2012، ص ص 130- 131

[4] – يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، ص 59-62،

شرقا، والتي سميت بثورة الظهرة[1]، ثم تعاونا مع الأمير عبد القادر بعد عودته من المغرب الأقصى في مقاومة الفرنسيين خلال شهر ديسمبر 1845[2]؛ وعندما أعلن الشريف بوشوشة ثورته عام 1869 اتصل به بن ناصر بن شهرة، حيث عملا معا على توحيد جهود المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي[3].

7- الطابع الوطني للمقاومات الشعبية:

تجلى شعور الوطنية في فترة المقاومات الشعبية وبشكل واضح لأنه أصبح هناك قضية أكثر وضوحا يقاتلون عليها، وانقسمت ميزة الوطنية بالنسبة للمقاومات الشعبية إلى نوعان: وطنية محلية ووطنية عامة.

أ- الوطنية المحلية: وهي الارتباط بالأرض أو بالقبيلة والدفاع عنها، وتكمن السلبية هنا في أن بعض القبائل لا تجد سببا يدفعها للتدخل في حالة تعرض قبائل أخرى مجاورة لخطر لم تتعرض له، حتى وإن كان هذا الخطر هو الاحتلال الأجنبي، وظهر ذلك جليا أثناء مقاومة الأمير عبد القادر، حيث أن بعض القبائل انظمت من تلقاء نفسها إلى قوات الأمير لأن القوات الفرنسية دخلت أراضيها، لكن وبمجرد زوال الخطر وخروجها من أراضيها كانت تسحب مقاتليها من جيش الأمير [4].

ب- الوطنية العامة: نجحت بعض المقاومات الشعبية مع مرور الوقت أن ترتقي بالشعور الوطني من الوطنية المحلية إلى الوطنية العامة، وهي التي تميزت بطول مدتها أو اتساع مجالها الجغرافي، ومنها مقاومة الأمير عبد القادر، الذي كان أول من طالب بتوحيد المقاومة ووحدة التراب الجزائري ككيان قائم بذاته[5]، وتجلى هذا في خطابه الذي جاء فيه أن الله أعطاه السلطة "من أجل الدفاع وحماية الدين والوطن"[6]؛ وشكلت ثورتي أولاد سيد الشيخ عام 1864 والمقراني في عام 1871 من خلال شموليتهما لمناطق واسعة من البلاد مثالا للوطنية العامة، حيث أشار الجنرال ترواملي (Trumlet) أن الباشاغا سي سليمان بقيادته لثورة أولاد سيد الشيخ في مناطق الجنوب كان بالنسبة لسكانها رمزا السلطة الوطنية والدينية الجزائرية[7].

---

[1] - Charles Richard, étude sur insurrection du Dhara 1845-1848, Alger, 1846, pp 10-20.

[2] – يحي بوعزي ، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 86.

[3] – أحمد قصيبة، المرجع السابق، ص 58.

[4] – محفوظ قداش، جزائر الجزائريين: تاريخ الجزائر 1830-1945، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 2008، ص 57-60.

[5] – شارل هنري تشرتشل، حياة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص62.

[6] – تحفة الزائر، المصدر السابق، ص 227.

[7] - Trumlet, Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864, Alger 1879, pp 5-6.

8- التنوع في القيادة:

تنوعت زعامة المقاومات الشعبية الجزائرية المسلحة بين قائد عسكري وديني، وأحيانا قيادة مزدوجة بينهما، ولم تكن القيادة حكرا على الرجال بل شاركتهم النسوة في ذلك.

وتجلت القيادة العسكرية البحتة للمقاومات الشعبية في عدة شخصيات في مقدمتهم أحمد باي وبعض من انضم إليه مثل الحاج أحمد بوعكاز .. ، وتمثلت القيادة العسكرية كذلك في العديد من زعماء القبائل وبعض الآغاوات الذين أعلنوا العصيان والثورة ضد سلطة الاحتلال، مثل بن ناصر بن شهرة آغا الأربعاء [1]، وفي تقرير للضابط الفرنسي "ريشارد" بعد ثورة الظهرة، ذكر فيه أن 60 من شيوخ القبائل والقياد والآغاوات من بين 80 عاملا لدى الإدارة الفرنسية، أنظموا للمقاومة أو أعلنوا الثورة بمفردهم[2].

بعد سنة 1845 تغير شكل القيادة في المقاومات الشعبية المسلحة في الجزائر، من السياسية العسكرية إلى الدينية في معظمها، زعماء الطرق الصوفية والزوايا أو مقدميها ، وأصبحت القيادة الدينية الروحية في حركة المقاومة دائما فوق القيادة العسكرية أو السياسية[3]؛ واجتمعت أحيانا ثنائية الزعامة الروحية العسكرية في بعض قادة المقاومات الشعبية، مثل الأمير عبد القادر والشيخ بوعمامة [4]؛ وتميزت بعض الزعامات الدينية بخاصية ادعاء المهدية وامتلاك الكرامات وخوارق العادات، من أجل استقطاب أكبر عدد من الأتباع، مثل الشيخ موسى بن الحاج الدرقاوي بمنطقة المدية عام 1834 والشيخ محمد الصغير التيجاني بالجنوب الغربي سنة 1838[5].

وهناك مقاومات اندلعت بقيادة مزدوجة عسكرية سياسية ودينية، أي شيخ القبيلة أو القايد أو الآغا مع زعيم طريقة أو زاوية وهو الزعيم الروحي للثورة؛ فعندما أعلن المقراني ثورته عام 1871 دعمه شيوخ الطريقة الرحمانية، الحداد وأبنائه حيث تشاركوا في زعامة الثورة [6].

---

[1] - M. Zurcher, la Pacification et l'organisation de la Kabylie orientale de 1838 à 1870, société d'Edition les belles lettres, Paris (s.d), pp 37-38.

[2] - Ibid, p 99.

[3]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص45.

[4]- قنان جمال ، نصوص سياسية جزائرية 1830-1914، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1993.

[5] - محمد غالم، ظاهرة المهدي المنتظر في المقاومة الجزائرية خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، مجلة إنسانيات، العدد 11، سنة 2000، ص18.

[6] - Chentouf Tayeb, Op.cit, p 135-137.

9- المرأة الجزائرية تقود المقاومة:

كان للمرأة مشاركة الفعالة إلى جانب الرجل في مقاومة الاحتلال الفرنسي، حيث برز دورها في الوقوف إلى جانب الرجل في العمليات الحربية بشكل مباشر ومن خلال تحضير الغذاء واللباس العسكري وحتى تقديم المشورة والعناية الصحية والمعنوية وغيرها، مثل السيدة الزهرة أم الأمير عبد القادر[1]؛ وتطور دورها لتصبح قائدة بعض المقاومات الشعبية المسلحة والسلمية بشكل مباشر، في مقدمتهن لالا فاطمة نسومر قائدة المقاومة شعبية المسلحة في منطقة القبائل، ولالا زينب القاسمية أو الهاملية التي قادت المقاومة الشعبية الثقافية بداية من سنة 1898 [2] في مواجهة مشروع الهيمنة الاستعمارية المبني على التغريب والفرنسة، وذلك من خلال تطوير عمل الزاوية الهاملية التي تزعمتها بعد وفاة والدها، لتضم معهد ومدارس لتلقين مختلف العلوم [3].

ويمكن الإشارة هنا كذلك إلى مثال القايدة حليمة، التي عرفت بكثرة الأعمال الخيرية التي قدمتها في منطقة الغرب الجزائري خاصة وهران مقر سكنها[4]، من بناء المساجد والتبرع بالأراضي للمقابر وبناء المدارس وغيرها، ثم تأسيس الجمعية الخيرية المسماة "قطرة حليب" سنة 1905، وجعل هذا التأثير الكبير الذي عرفت به القايدة حليمة الإدارة الاستعمارية تخشاها وتحترمها، وبذلك يمكن القول أنها تزعمت فعلا مقاومة شعبية اجتماعية[5].

---

[1] – تقي الدين بو كعبر، لالا زينب الهاملية ودورها في المقاومة الثقافية: قراءة في قصيدة شعرية مخطوطة للشيخ محمد بن أحمد القماري، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 13، العدد 19، ديسمبر 2015، ص270.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص162.

[3] – تقي الدين بو كعبر، المرجع السابق، ص270.

[4] – الآغا المزاري بن عودة ، طلوع سعد السعود ، المصدر السابق، ص47.

[5] – أمال هاشمي، حضور المرأة الجزائرية في أدب الاستعمار الفرنسي: قراءة لأعمال الكاتبة "مارافال بعنوان (Angele Maraval Berthoin)"، مجلة جسور المعرفة، مجلد 05، العدد 04، مارس 2019، ص85.

المحاضرة الثانية عشر

أسباب توقف المقاومات الشعبية في الجزائر ونتائجها

شكلت المقاومات الشعبية مرحلة هامة من مراحل كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، لكنها لم تستطع طرده أو منعه من بسط سيطرته على كامل التراب الوطني؟ لكن هل يعني هذا أن نحكم عليها بالفشل؟ ورغم اختلافها في الزمان والمكان هل تشابهت المقاومات الشعبية في أسباب توقفها؟ وما هي أهم نتائجها السلبية والإيجابية خاصة على مستقبل الكفاح الوطني ضد الاستعمار؟

أولا: أسباب توقف المقاومات الشعبية:

أكيد أن لكل مقاومة وثورة شعبية أسباب معينة لفشلها وتوقفها، لكننا سنحاول أن نذكر الأسباب العامة التي ساهمت في فشل كل المقاومات الشعبية، والأسباب الخاصة التي اشتركت فيها العديد منها، وأهمها ما يلي:

- **حالة الشعب الجزائري قبيل الاحتلال:**

عانى الشعب الجزائري في فترة الحكم العثماني للجزائر من تهميش وتخلف في عدة ميادين، حيث تميز هذا النظام بطابعه العسكري مع هيمنة العنصر التركي، مع غياب الإصلاحات والاهتمام المناسب للحكام الأتراك بأمور الصحة والتعليم وعدم وجود انفتاح على السكان، وهذا ما أدى إلى ضعف الحكم المركزي، ولذلك تميزت المرحلة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر بفترات عصيبة وقاسية، خاصة مع تدهور الأوضاع الاقتصادية، فكانت الميزة الأساسية للشعب الجزائر غداة الاحتلال، البداوة والفقر والجهل والفرقة السياسية القبلية وغياب الوحدة الاجتماعية [1].

- **التفوق العسكري الفرنسي:**

جل المعارك التي جرت بين جيوش الاحتلال الفرنسي وقوات المقاومة الشعبية الجزائرية كان فيها التفوق العددي والنوعي لصالح الجيش الفرنسي، وكانت قيادة الجيش الفرنسي تصر على زيادة تفوقها رغم معرفتها بإمكانيات المقاومة وتعدادها، عندما شن لامورسيير غارة على منطقة صغيرة بالوادي المالح، توجه بصحبة 4500 جندي مدججين بمختلف الأسلحة، وخرج الجنرال بيجو على رأس جيش قوامه بين 30 إلى 36 ألف جندي، ليحارب

[1] – عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962، سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 37.

جيشا مكونا من 1500 إلى 2000 فارس في الجبال المحيطة بمدينة الجزائر، وكان عدد الجنود الفرنسيين في الجزائر سنة 1843 يزيد عن 100 ألف، كان معظمه مستعملا في الحرب مع الأمير عبد القادر[1].

- **السياسة القمعية للاحتلال:**

كانت السياسة القمعية في نظر الحكومة الفرنسية شيء حتمي لإنهاء المقاومات الشعبية، بعدما أدركت أن كل شبر تتقدمه قواتها في أرض الجزائر تكون المقاومة الشعبية كرد فعل حتمي وطبيعي، ومثال ذلك: لما اشتدت مقاومة الأمير عبد القادر، تعمد "فالي (Vallé)" إبادة القبائل المعينة له، ونسجل مقولته في هذا الصدد:"..لا بد من القضاء على عبد القادر بضربه في الصميم.."، وفي هذه الأثناء تم تعيين الجنرال بيجو(Bugeaud)، في فيفري 1841م وقد جاء بقوات ضخمة، ومنحت له كل الصلاحيات، وعزم على القضاء على مقاومة الأمير من خلال الهجوم على القبائل الموالية له وإبادتها[2]، حيث طبق سياسة الحرب الشاملة ضد الشعب الجزائر، وكان يرى أن حرب الإبادة وحدها الكفيلة بالقضاء على مقاومة الشعب الجزائري وإضعاف قدرته القتالية و النضالية[3].

إن جزائر الفرنسيين التي أرادتها فرنسا من واقع مخططها الأصلي ذو السطوة والتجبر في الإبادة الجماعية للسكان وتدمير البنى الشعبية، لم يكن الهدف الأساسي منه إنهاء حركات التمرد (المقاومات الشعبية) فقط، بل كان تصريح فرنسا علانية بهدفها النهائي منه وهي أنها أرادت جزائر بدون جزائريين[4].

- **الحركات المناوئة للمقاومات الشعبية:**

لعبت مجموعة من الجزائريين من زعماء القبائل والأسر الإقطاعية الكبيرة دورا كبيرا في إرباك صفوف المقاومة الجزائرية وتسبب بشكل كبير في إفشالها[5]، مثلما حدث في ثورة محمد بن عبد الله (بوبغلة) والتي انتهت بفعل تحالف عدد من أعيان منطقة القبائل مع الجيش الفرنسي ضده، وعرفت بعض الزعامات المحلية بالخيانة والعمالة مع الاحتلال من أمثال فرحات بن سعيد في الزيبان، ومصطفى بن إسماعيل في "الزمالة والدوابر" في بايلك الغرب، وبوعزيز بن قانة في بسكرة وكل من أحمد المقراني وأبنه لخضر في مجانة وبلاد القبائل، إلى جانب عدد من أعيان

---

[1] – مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007، ص 355.

[2] – يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص47

[3] – سعدي بزيان :جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، 2005، ص15.

[4] – محمد العربي ولد خليفة، المذابح الكولونيالية في الجزائر نماذج من الإجرام المنظم، سلسلة الملتقيات بعنوان: الأسلاك الشائكة، دراسات و بحوث الملتقى الوطني الأول حول الأسلاك الشائكة و الألغام، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية، الجزائر، ص125.

[5] – عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، الشركة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص 136.

أولاد سيدي الشيخ الذين حاربوا أبناء عمومتهم الثائرين تحت لواء الجيش الغازي [1]؛ وحارب الأمير عبد القادر وأحمد باي وغيرهم القبائل المتمردة عليهم وحاولوا أن يوحدوا الصفوف ضد الاحتلال الفرنسي.

إن الدور الذي لعبته هذه الطائفة من الجزائريين في تدعيم الاحتلال الأجنبي للبلاد، لم يتقلص وانما تعاظم وازداد بعد استسلام الأمير عبد القادر، وأصبح من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى فشل جميع الانتفاضات التي حدثت بعد سنة 1847 بما فيها الانتفاضة الشعبية الكبرى لسنة 1871[2].

- **الطابع الاقليمي المحدود للمقاومات:**

أثر الطابع الاقليمي المحدود جغرافيا وبشريا والمعزول عسكريا وسياسيا لأغلب المقاومات في توقفها وانهزامها في جولات سريعة، وهذا مثلا كان حال ثورة الزعاطشة بين عامي 1848-1849، كما جعلها هذا في متناول الجيش الفرنسي الذي كان يلجأ إلى محاصرتها ثم تسليط وسائل القمع عليها بهدف استنزاف قدارتها على الصمود لفترة أطول[3]؛ وكتنت عزلة بعض المقاومات جغرافيا وعدم توافقها زمنيا بالرغم من استمرارها مع افتقادها القدرة على تخفيف الضغط عنها وإعادة تنظيم صفوفها، دفعها إلى استنزاف كل وسائلها دون أن تكيف دفاعاتها أو تغيير من استراتيجيتها في مواجهة العدو [4].

- **عدم وجود الدعم الخارجي .. أو تعاونه مع الاستعمار:**

حاول العديد من زعماء المقاومات الشعبية الاتصال بقوى خارجية لدعمهم ومساعدتهم، خاصة في مراحل الضعف والانكسار، وبحكم الجوار الحدودي كان المغرب الأقصى وتونس في مقدمتها، كما تم انتظار دعم الدولة العثمانية على مدار الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر خاصة خلال القرن التاسع عشر، لكن وللأسف لم تتلقى أي مقاومة شعبية دعما مناسبا من الخارج على الصعيد الرسمي أي من السلطة، رغم أن الدور سيأتي عليها في مجال الحركة الاستعمارية.

وكان السلطان المغربي عبد الرحمن بن هاشم يقدم المساعدات والدعم للأمير عبد القادر لكنه بعد دخوله في صراع عسكري مع فرنسا اعتذر عن مواصلة تقديم المساعدات العسكرية للأمير عبد القادر، بل وطارده ثم دخل

---

[1] – أحميدة عميراوي، من تاريخ الجزائر الحديث، ط ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 56-65.

[2] – جيلالي صاري، محفوظ قداش، الجزائر في تاريخ المقاومة السياسية 1900-1954، الجزائر، 1987، ص 115-119.

[3] – يحي بوعزيز ،كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ص186.

[4] – الامير عبد القادر ، مذكرات الأمير عبد القادر، تح: محمد الضغير بناني وآخرون، دار الأمة، الجزائر، 1994، ص 321-323.

في حروب معه قبل أن يخرج الأمير نهائيا من المغرب منهك القوى ثم يستسلم للفرنسيين بعد فترة وجيزة [1]؛ ولم يكن أحمد باي أحسن حالا، حيث انتظر طويلا دعم الدولة العثمانية في العديد من المرات، لكنه بقي مجرد وعود، والمحاولة الوحيدة لوصول هذا الدعم لم تنجح بسبب تخاذل باي تونس تحت التهديد الفرنسي[2]؛ وكان عدم وصول الدعم الخارجي من الباب العالي إلى الحاج أحمد باي من أهم أسباب فشل مقاومته.

- **غياب الوحدة وصراع قادة المقاومات الشعبية فيما بينهم:**

غياب الوحدة وصراع زعماء المقاومات الشعبية كان نتيجة للنظام القبلي المبني على الصراعات، وهو من إفرازات السياسة السلبية للنظام العثماني في الجزائر، وحب الزعامة الفردية، ومبدأ عدم الخضوع والانصياع للغير، إضافة إلى الصراع الطرقي الديني بين مختلف شيوخ الطرق الصوفية خاصة بين التجانية والقادرية والدرقاوية.

وهناك عدة أمثلة لتنافس وصراع زعماء المقاومات الشعبية، لعل أبرز الصراعات بين قادة المقاومات الشعبية ذلك الذي كان بين الأمير عبد القادر وأحمد باي، والذي سبق لنا الإشارة إليه في محاضرة الاستراتيجية العسكرية لمقاومة أحمد باي، وأثناء مقاومة أولاد سيد الشيخ، حدث خلاف وصدام حاد بين اثنين من زعماء الثورة، بين سي قدور وسي معمر، تطور إلى مواجهات عسكرية بينهما يوم 3 أوت سنة 1871[3].

- **دور اليهود والجواسيس من النصارى:**

كان لليهود دور كبير في دخول الاحتلال الفرنسي إلى الجزائر وتمكنه من عدة مناطق فيها، بداية بقضية الديون؛ ومارست الأقلية اليهودية دورا كبيرا في تثبيت دعائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر بفضل تحالفها معه [4]، وكان لليهود أدوار مميزة في بعض المقاومات الشعبية، خاصة من خلال وساطاتهم السلبية بين قادة المقاومات والقوات الفرنسية، حيث كان اليهودي بن دوران الوسيط خلال إبرام معاهدة تافنة سنة 1837 بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو، لكنه استبدل بسي الحمادي السقال، بعدما أحس الطرفان أن اليهودي يتلاعب بالأمور السياسية لصالحه المادي[5]؛ وقبل الاستعداد لمحاولة الغزو الثانية لمدينة قسنطينة حاول الجنرال دامرمون المراوغة

---

[1] – يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ص 52-55.

[2] – أنظر: الأرشيف الوطني الجزائري، دفتر خط همايون، عدد 48131، 1254هـ/1838م، رسالة من الحاج أحمد باي، باي قسنطينة إلى سعادة كامل باشا سفير بروسيا.

[3] - Thrumelet Corneille (Colonel), Histoire de l'insurrection des Ouled Sidi Ech-chikh (sud Algérie) 1864-1880, Seconde partie, Adolphe Jordan Libraire-Editeur, Alger, 1884, pp 74-75.

[4] - Abdelhamid Zou Zou, Aurès au temps de la France colonial évolution Politique économique et sociale 1837-1939, tom1, Ed distribution Houma, alger,2002,p25,30

[5] – معوشي أمال، يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي (1830-1870)، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 42-44.

وكسب الوقت من خلال إرسال اقتراحات تسوية إلى الحاج أحمد باي، كان الأول بواسطة التاجر اليهودي "ابن باجو"، والثاني بواسطة اليهودي الآخر "بوجناح"[1].

كما أن بعض النصارى الذين وثق فيهم بعض زعماء المقومات الشعبية غدروا بهم لمصلحة الاستعمار، ولعل أشهرهم المترجم والجاسوس "ليون روش"، الذي كان يقوم بعدة مهمات تجسسية لصالح الجيش الفرنسي أهمها تلك التي قام بها ضد الأمير عبد القادر؛ وكذلك الأخصائي الألماني "شلوصر" الذي استعان به أحمد باي لتنظيم المدفعية والذي قام عمدا بتصويب المدافع عاليا حتى لا تصيب الأعداء حول أسوار قسنطينة أثناء الحصار الثاني للمدينة سنة 1837 مما تسبب في سقوطها[2].

- **اعتمادها على الزعامة والقيادة الفردية (ربط مصيرها بها):**

من أهم سلبيات المقاومات الشعبية ارتباطها بمصير زعاماتها، حيث عادة ما كانت تنتهي المقاومات والثورات الشعبية بمجرد مقتل أو استسلام أو اعتقال زعمائها، خاصة إذا لم يكن له من ينوب عنه، أو يحمل اللواء من بعده، فاستسلام الأمير عبد القادر وأحمد باي أنهت مقاومتهما، وانتهت مقاومة لالا فاطمة نسومر باعتقالها سنة 1857، وعجل إخفاق الإخوان الرحمانيين في قيادة ثورة 1871، واستسلامهم الواحد تلو الآخر في نهاية الثورة، حيث استسلم الشيخ عزيز يوم 30 جوان 1871، ثم تبعه أخوه الشيخ أمحمد في 2 جويلية، وبعد علمه بذلك قام أبوهما الشيخ أمزيان بن علي بتسليم نفسه للجنرال "سوسي" يوم 13 جويلية 1871، وكان استسلامهم على هذا الشكل كقادة، سببا في استسلام العديد من الرجال والقبائل، وبالتالي نهاية للثورة[3].

ثانيا: النتائج والآثار:

رغم أن المقاومات الشعبية لم تحقق الهدف الأساسي، ألا وهو طرد الاستعمار واسترجاع السيادة والحرية، إلا أنه كان لها نتائج وآثار إيجابية، وأخرى يمكن أن نقول أنها سلبية، نقسمها كما يلي:

1- نتائجها على الشعب الجزائري:

أ- **النتائج السلبية:** المقاومة شيء حتمي وضروري بالنسبة للشعوب ضد فعل الاحتلال، لكنها في حالة الفشل وعدم تحقيق أهدافها تعود بالضرر على أفراد الشعب خاصة منهم الضعفاء، والمشاركون في الثورات

---

[1]- يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 73؛ Ernest Mercier, Les Deux Sièges de Constantine (1836-1837), Op.cit, p 42-44.

[2]- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص60.

[3] - نفسه، ص 263.

الشعبية، فالشعب الجزائري دفع ثمنا باهضا لمقاومته الاحتلال الفرنسي خلال القرن التاسع عشر، من خلال الأعمال الانتقامية للجيش الفرنسي ضد القبائل المشاركة والداعمة للمقاومة[1]، ويشير العربي منور في كتابه "تاريخ المقاومة الجزائرية" إلى ذلك موضحا أن عدد شهداء المقاومات الشعبية بلغ أكثر من خمسة ملايين خلال الفترة الممتدة بين 1830 و1870 فقط ، وأن مليون جزائري اضطروا إلى الهجرة، وأن الجزائريين الذين كانوا يملكون أكثر من خمسة ملايين من الضأن وأكثر من مليونين من البقر، وقرابة 100 ألف من الإبل، لم يعد لهم نصف هذا العدد[2].

ب- **النتائج الإيجابية:** يقول أبو القاسم سعد الله عن قادة المقاومات الشعبية وتأثيرها الإيجابي على الشعب الجزائري رغم عدم تحقيق الهدف الأساسي بطرد الاستعمار:".. ومع ذلك فإنهم وبثوراتهم المستمرة، وحبهم لأرضهم، وكرههم للأجانب، فقد حافظوا على الضمير الوطني حيا، ومثلوا استمرار الكيان الجزائري الذي حاول الاحتلال القضاء عليه"[3]؛ فقد حافظت المقاومات الشعبية بتواصلها وامتدادها على الروح الثورية للشعب الجزائري، وترسيخ معاني الجهاد لديه، ونبذ الروح الانهزامية والاستسلام للعدو[4].

2- التأثير على المستعمر:

- **إلحاق الخسائر بالمستعمر:**

تعددت هزائم وخسائر الجيش الفرنسي على مدى صراعه مع المقاومة الشعبية المسلحة، ورغم عدم وجود إحصائيات مؤكدة حول عدد القتلى والجرحى الإجمالي إلا أنه يمكن الإشارة مثلا أنه قتل حوالي 20 ألف جندي فرنسي في المعارك التي جرت أثناء مقاومة المقراني وحدها سنة 1871، وتعددت الخسائر المادية للجيش الفرنسي في مواجهة المقاومات الشعبية وفي ذلك يقول الدوق دورليان Duc d'Orléans :"...ألحقت بالفرنسيين من أضرار أكثر مما ألحقته جيوش العدو الأخرى بأكملها، وقد حرمت جيشنا من النوم لأنها أرغمته على أن يظل دائما في حالة استنفار"[5].

---

[1] – مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 22.

[2] – العربي منور، المرجع السابق، ص 183-185.

[3] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص ص 56-57.

[4] – محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية، المرجع السابق، ص 87.

[5] - Duc d'Orléans, La Compagne de l'Armée d'Afrique 1835-1839, Michel Lévy frères Editeurs, la librairie Nouvelle, Paris, 1870, p34.

- **تأخير مشروع الإحتلال الكامل للبلاد:**

اعتقدت فرنسا أن حملتها لاحتلال باقي مناطق الجزائر بعد سقوط العاصمة السهل ستكون نزهة، يقابلهم الجزائريون فيها بالزهور، وكان أكثر المتشائمين يعتقد أن مشروع الاحتلال الكلي سيدوم بضعة أسابيع أو أشهر، لكن المقاومات الشعبية بتواصلها وتزامنها وقوتها أفشلت مشروع الاحتلال "السهل" وأجلته لعقود كثيرة، حيث أخرت مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي مثلا احتلال شمال الجزائر إلى غاية سنة 1848، ومنعت ثورات أولاد سيد الشيخ وبوعمامة والطوارق وغيرها احتلال المناطق الصحراوية إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى[1].

3- الآثار على الحركة الوطنية والثورة التحريرية:

أ- على الحركة الوطنية السياسية:

كانت لتأثيرات المقاومات الشعبية السلبية على المستعمر ومعاناته المستمرة منذ بداية الاحتلال سببا مباشرا في إصداره مجموعة من القوانين التي سمحت للجزائريين بالمشاركة في العمل السياسي، وذلك لإلهائه عن الثورات الشعبية المسلحة.

ومع الحركة الاصلاحية التي ظهرت في المشرق العربي وصداها على المغرب العربي، ظهرت شخصيات تبنت الإصلاح الديني والثقافي في الجزائر، وظهوت جماعة من الشباب الجزائري المتخرج من المدارس الفرنسية أو ما سمي بجماعة "النخبة"، فاستغلوا بعض القوانين الفرنسية المتفتحة سياسيا بسبب ضغط المقاومات الشعبية، وبدأوا في الضغط على الحكومة الفرنسية للقيام بإصلاحات والحصول على مقاعد في البرلمان الفرنسي، والمشاركة في الانتخابات المحلية، والاعتراف بالشخصية الجزائرية، في ظل المساواة أو الإدماج، وذلك مع تواصل بعض المقاومات الشعبية المسلحة[2]، كمقاومة الشيخ بوعمامة، وانتفاضة عين تركي 1901، وانتفاضة باتنة 1902، انتفاضة عين بسام 1906...، وهذا ما زاد الضغط على حكومة الاحتلال.

[1] – محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، المرجع السابق، ص 191.

[2] – عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 202.

وعندما تأزم الوضع في الجزائر أكثر بسبب رفض الجزائريين التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي في شكل انتفاضات وثورات شعبية مسلحة، ظهرت مطالب "حركة الشبان الجزائري" والتي ربطها العديد من المؤرخين، بميلاد الحركة الوطنية الجزائرية، خاصة بعد انضمام الأمير خالد لهذه الجماعة سنة 1913[1].

وبعد انطلاق الحرب العالمية الأولى ومشاركة الجزائريين مع الجيش الفرنسي، وتجدد حركة رفض التجنيد الإجباري، ثم تطورها إلى ثورات شعبية مسلحة كثورة بني شقران في معسكر 1914 وثورة الأوراس سنة 1916، حاولت فرنسا بعد الحرب أن تمتص غضب الرأي العام وجماعة النخبة بإصلاحات الرابع من فبراير 1919، والتي تضمنت القانون الخاص بمشاركة الجزائريين في الحقوق السياسية[2]، كالانتخاب والترشح والحصول على الجنسية الفرنسية بشروط، وهذا ما فتح مرحلة جديدة من الكفاح الوطني وهي النضال السياسي عبر الجمعيات والنوادي ثم الأحزاب السياسية.

ب- على الثورة التحريرية:

جعلت المقاومات الشعبية والنضال السياسي الحزبي ثورة أول نوفمبر تعي كل الدروس الماضية، وتستخلص العبر من الماضي، وكيف أنّ ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة، بالكفاح المسلح، لكن مع تجنب سلبيات المقاومات الشعبية المسلحة، أهمها قلة التخطيط وفق منهاج ثوري محدد، وعدم الاعتماد على قاعدة شعبية واسعة تشمل كامل القطر الوطني وفي فترة زمنية واحدة، وكونها محلية أو على الأكثر إقليمية، مع اعتمادها على القيادة الفردية أو الزعامة.

لقد تفهم قادة الثورة التحريرية واستوعبوا تجارب المقاومات الشعبية، وتجاوزوا مبدأ المطالبة السلمية للنضال السياسي التي أثبتت فشلها، فدخت الثورة معركتها على أسس متينة في جبهة قوية موحدة لكل فئات الشعب، ممثلة في جبهة التحرير الوطني سياسيا وجيش التحرير الوطني عسكريا، وبقيادة جماعية تختلف عن القيادة الفردية التي تميزت بها المقاومات الشعبية والنضال السياسي، مما يضمن النجاح والنصر بشكل أكبر[3].

ويشير مصطفى الأشرف في كتابه "الجزائر الأمة والمجتمع"، أن أهالي إحدى القرى الواقعة في منطقة البيبان، وفي بداية الكفاح المسلح أثناء الثورة التحريرية سنة 1955، نصحوا المسؤولين على الثورة في المنطقة، بتجنب الأخطاء التي ارتكبها ثوار سنة 1871، والتي تضرروا بفشلها بعد انتقام قوات الاحتلال، وهذا دليل على حرص الشعب الجزائري، الاستفادة من التجارب السابقة خاصة من المقاومات الشعبية والانتفاضات الفاشلة[4].

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص 95.

[2] – قريري سليمان، المرجع السابق، ص ص 57-58.

[3] – إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية الجزائرية، دار مدني للنشر والطباعة، الجزائر، 2008، ص ص 218-219.

[4] – مصطفى الأشرف، المرجع السابق ، ص 24.

المحور الخامس

علاقات المقاومة الوطنية بدول الجوار

المحاضرة الثالثة عشر

علاقة المقاومة الوطنية بتونس وليبيا

أولا: علاقة المقاومة الوطنية بتونس:

1-موقف تونس من الاحتلال الفرنسي للجزائر:

أ- الموقف الرسمي:

قبل أن تبدأ فرنسا في تنفيذ مشروع احتلالها الجزائر أرسلت تحذيرا إلى باي تونس أنه في حال أعان الجزائر فإنه يعلنها حربا على فرنسا، وهكذا ربحت تأييده بل ومساعدته، حيث أصبحت تونس قاعدة للتحركات الاستخباراتية للقوات الفرنسية[1]، وظهر ذلك من خلال تحركات قنصل فرنسا بتونس وعمليات تنسيقه مع المسؤولين في تونس ومع المخبرين والجواسيس الذين أرسل بعضهم إلى قسنطينة[2].

ولم تخف السلطة في تونس موقفها السلبي اتجاه الجزائر ورفضها مساعدتها بل ورفضها أي وساطة أو تسهيلات من شأنها تجنيب الجزائر الحملة العسكرية الفرنسية، حيث منع حسين باي تونس أحد مبعوثي الدولة العثمانية وهو "طاهر باشا" من الدخول إلى الجزائر من خلال الحدود التونسية الجزائرية لإنهاء الخلاف بين الجزائر وفرنسا بطرق سلمية، وكان ذلك يوم 10 ماي1830 [3]؛ وأبدت تونس استعدادها لفتح أراضيها أمام الجيش الفرنسي لمهاجمة الجزائر من الناحية الشرقية، كما جهزت أربعة زوارق مدفعية لحماية الأسطول الفرنسي من الهجومات الجزائرية، وقامت بتمويل الحملة الفرنسية بالماشية ومنعت تهريب البارود من طبرقة إلى قسنطينة[4].

وبعد تمام احتلال مدينة الجزائر قامت تونس بإرسال وفد يوم 21 نوفمبر 1830 لتهنئة الفرنسيين، كما قبل باي تونس مشروع تولى إقليم قسنطينة ووهران الذي عرضته الإدارة الاستعمارية وفق معاهدة أبرمت يوم 18 ديسمبر 1830، وتم إرسال الأغا خير الدين مع 300 فارس من المخازنية والزواوة إلى وهران يوم 11 فيفري

---

[1]- احميدة عميراوي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة، 2002، ص67.

[2]- ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ،ج1، دار الغرب الاسلامين ط1،بيروت لبنان، 1992، ص 33.

[3]- حنيفي هلايلي، أوراق بتاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008م ، ص 53.

[4]- بشير بلاح، المرجع السابق، ص 60؛ حنيفي هلايلي ، المرجع نفسه، ص 53؛ احمد مسعودي، مرجع سابق، ص 78.

1831[1]، لكن التونسيين فشلوا في السيطرة على إقليم وهران لعدة أسباب أهمها الضرائب الباهضة التي اشترطت فرنسا الحصول عليها، والتي لم يستطع التونسيين جمعها، فتم الغاء هذه المعاهدة يوم 28 مارس 1831 وعادت القوات التونسية الى تونس[2]؛ ولم ينجح حكم تونس لقسنطينة بسبب تواجد أحمد باي فيها.

ب- الموقف الشعبي:

الموقف الشعبي كان مغايرا تماما للموقف الرسمي من الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث أظهر الشعب التونسي رفضه له، فهو مدرك أن الاحتلال الفرنسي يشكل تهديدا لهم بشكل مباشر وأقرب، كما أبدوا تضامنهم وتعاطفهم مع الشعب الجزائري من خلال استقبال المهاجرين الجزائريين الفارين من البطش الاستعماري وتقديم كل المساعدات والتسهيلات لهم، خاصة وأن هناك قبائل حدودية تتشارك الصلة العائلية وتتبادل المعاملات الاقتصادية والاجتماعية، ويظهر موقف التونسيين في رفضهم للاحتلال بشكل جلي من دعمهم ومساعدتهم للمقاومين والثائرين الجزائريين اللاجئين إلى تونس[3]، وكما سنبين لاحقا.

2-علاقة مقاومة أحمد باي بتونس:

سبق وأن أشرنا إلى المعاهدة التي أبرمتها فرنسا مع حسن باي تونس والتي تنص على حكم سي مصطفى باي على قسنطينة[4]، وبمجرد علمه بها قرر أحمد باي عرض الأمر على ديوانه، فبعثوا رسائل إلى باي تونس باسم سكان قسنطينة أظهروا فيها حبهم وتعلقهم بأحمد باي، وأنهم راضون بحكمه معبرين عن استحالة انضمام قسنطينة إلى تونس؛ وحاول باي تونس تأنيب الباب العالي ضد أحمد باي باتهامه بالظلم والاستبداد وعرض أحقيته بحكم قسنطينة، لكن أحمد كشف هذه الأكاذيب مستدلا بشهادات وتوقيعات بعض الأعيان[5].

وكان تأثير السلطة في تونس سلبيا على التطور العسكري لمقاومة أحمد باي، حيث بالإضافة إلى عدم تقديم أي نوع من المساعدات، منع باي تونس وصول أسلحة ومساعدات لأحمد باي في عدة مرات، أهمها عرقلته لصفقة استراد أسلحة الايطالية وبارود، واستيلائه على المساعدات التي أرسلها له السلطان العثماني والمتمثلة في

---

[1]- احميدة عميراوي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس، المرجع السابق، ص ص67-68.

[2]- فارس العيد، المرجع السابق، ص ص 32-33.

[3]-يحي بوعزيز، دور تونس في دعم حركة التحرير الجزائرية وموقف الجزائرين من احتلالها سنة1881، مجلة الثقافة ،ع70، الجزائر،1982، ص ص 47-48.

[4]- احميدة عميراوي، المرجع نفسه، ص 68.

[5] - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 66.

أربعة سفن، واثنى عشرة مدفعا ومئة وخمسون مدفعية استغلها لصالحه بعدما منع الجنود من النزول[1]؛ ورغم ذلك عرض على أحمد باي أن يأتي إلى تونس ليحميه بعد سقوط قسنطينة سنة 1837، لكن أحمد باي رفض ذلك لأنه لم يثق فيه، كما استقبل العديد من المهاجرين الجزائريين من قسنطينة بعد سقوطها، وضم من كانوا ذووا خبرة عسكرية مع أحمد باي إلى جيشه[2].

3- علاقة مقاومة الأمير عبد القادر بتونس:

حاول الأمير عبد القادر ربط علاقته مع السلطة في تونس لكسب الدعم والاعتراف بعدما توسعت دولته شرقا نحو الزيبان والصحراء الشرقية إثر معاهدة تافنة، فبعث وفدا إلى إيالة تونس بقيادة محمد الصغير بن الحاج خليفته على بسكرة ومحمد كانون، وأظهر باي تونس للوفد تقديره الكبير للأمير عبد القادر واستعداده لتقديم المساعدات، خاصة وأنه كان يعتبر أحمد باي عدوا مشتركا[3].

واستمر خلفاء الأمير في الشرق الجزائري في ربط اتصالات وعلاقات مع بايات تونس، لكنهم كانوا ينقلون للأمير عبد القادر موقف تونس الباهت من المقاومة ، ويحاولون تحذير السلطة في تونس من خطر الفرنسيين، ففي رسالة حسن بن عزوز إلى حمود باي تونس يخبره فيها بنوايا الفرنسين حين يقول:" نعم وان كن فاطنا لبيبا عاقلا وانظر عاقبة الامور من جانب الكفرة، ولا تظن ودهم من جانب الحب بل من جانب المكر والخديعة لا غيره وما شغله عنكم الا نحن ولولا نحن لرجعوا اليكم"[4]

4-علاقة ثورة الشريف محمد بن عبد الله[5] بتونس:

بعدما أن احتل الفرنسيون الاغواط سنة 1853، أراد الشريف محمد بن عبد الله استرجاعها فانظم إليه في ذلك بن ناصر بن شهرة وسي نعيمي؛ فوقعت معركة نفوسة 1853 التي انهزمت فيها المقاومة فتوجه محمد بن عبد الله إلى تونس برفقة بناصر بن شهرة واستقروا بمنطقة الجريد التونسي.[1]

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر بداية الاحتلال، المرجع السابق، ص 142.

[2]- احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 80.

[3]- نفسه، ص ص83-84.

[4]- نفسه. ص 86.

[5]- ينتمي محمد ن عبد الله الى سيدي احمد بن يوسف فرع قبيلة اهل روسل قرب عين تنوشنت انتقل الى تلمسان واشتغل معلما للقران ، التزم في ضريح ابي مدين وبدء يجمع الأنصار فأمرته السلطة الفرنسية أن يذهب للحج، فالتقى بمحمد علي السنوسي وانشأ معا زاوية دينية، ورجع الى الجزائر عام 1850، واستقر بورقلة ومها انطلق كفاحه؛ ينظر: علي غنابزية، ادوار الكفاح المسلح في واد سوف والجنوب الشرقي الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي الجزائري(1854-1962) ط1 ، مطبعة الوادي لمديرية الثقافة لولاية الوادي، الجزائر، 2016، ص18.

بعد أشهر ثم رجع إلى الجزائر لمواصلة الجهاد في منطقة تقرت وورقلة لكنه انهزام في معركة ماقرين 1854 قرب تقرت، ثم لجأ مرة ثانية إلى الجريد التونسي فبقي فيها حتى سنة 1858 حيث جمع عددا من المجاهدين هناك من اللاجئين الجزائريين رفقة بناصر بن شهرة وآخذو يشنون هجومات من داخل تونس عبر الحدود على أهداف عسكرية فرنسية[2].

وكانت السلطات الفرنسية تطلب باستمرار من الحكومة التونسية الامتناع عن تقديم المساعدة للمقاومين الجزائريين وضرورة طرد محمد بن عبد الله وأصحابه، والتزمت السلطات التونسية بذلك وبعثت رسالة إلى السلطة الفرنسية تطمأنها جاء فيها:" أما بعد فإن رجل من تلمسان اسمه الشريف محمد بن عبد الله قادم إلى أطراف بلادنا من ناجية الجريد وأمرنا بطرده وإبعاده وعدم قبوله ..." [3]

وفي سنة 1858 عاد الى الجزائر لمواصلة مقاومته ضد الجيش الفرنسي وبعد فشل ثورة المقراني والحداد سنة 1871 توجه مرة ثالثة إلى تونس وبقي هناك يتنقل من منطقة لأخرى[4]، فرحل إلى باب دباب قرب حدود طرابلس وتيتاوين ، وتحايل عليه كاهية نفزاوة واعتقله لعدة شهور ، لكن عامل نفات علي بن خليفة أقنع باي تونس بإطلاق سراحه، ثم عاد إلى منزله بقرية لعوينة بتونس، وبعد فرض الحماية على تونس سنة 1881 توجه الشريف محمد بن عبد الله إلى طرابلس رفقة المقاومين التونسيين ورجع الى الجنوب التونسي وبقي فيها حتى وفاته سنة 1895؛ لذا اعتبره يحي بوعزيز من مقاومي المغرب العربي الكبير[5].

5-علاقة مقاومة بناصر بن شهرة بتونس:

خلال مقاومته كان بن ناصر بن شهرة كثير التنقل إلى تونس خاصة نفطة وتوزر بمنطقة الجريد التونسي أين متن علاقته بالكثير من اللاجئين الجزائريين لتدبير خطط المقاومة من وراء الحدود، وهذا الأمر أزعج السلطات الفرنسية فراسلت باي تونس تطلب إلقاء القبض عليه بعد هجوماته على دوائر أولاد رشيش سنة 1860 [6]،

---

[1]- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر، المرجع السابق ، ص ص 160 -161.

[2]- بشير بلاح، المرجع السابق، ص 130.

[3]- احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص91.

[4]- بشير بلاح، المرجع نفسه، ص 130.

[5]- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر،2009، ص 375.

[6]- رضوان شافوا، انعكسات السياسة الاستعمارية على العلاقات بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1830-1904م، مجلة كان التاريخية، ع34، ديسمبر 2016،ص13.

وفعلا صدرت أوامر بسجنه هو وصديقه محمد بوعلاق اليعقوبي الذي تم ، لكن بناصر بن شهرة رجع إلى الجزائر لمواصلة المقاومة ضد الجيش الفرنسي رغم تردده سرا من حين لآخر على الأراضي التونسية[1].

بعد نهاية ثورة المقراني سنة 1872 والتي شارك فيها بناصر بن شهرة، قام بقيادة من بقي معه من المجاهدين (حواي 500) داخل البلاد التونسية فتم استقبالهم وتقديم المساعدة لهم بعد وساطة من الأمير عبد القادر والصدر العظم، حيث سمحت السلطات التونسية لهم الاستقرار في تونس وتم توزيعهم على مناطق مختلفة.[2]

وعاد بناصر بن شهرة في مناوشته للفرنسيين من الجريد التونسي مما دفع الفرنسيين إلى إرغام الباي التونسي على إلقاء القبض عليه، ورغم تدخل الأمير عبد القادر لصالحه أمرت فرنسا باي تونس بضرورة نفي بن شهرة من تونس نهائيا فنقلته بحرا رفقة الشيخ محمد الكبلوتي بتاريخ 2 جوان 1875 إلى بيروت وبقي هناك إلى جانب محي الدين ابن الأمير ثم التحق بالأمير عبد القادر بدمشق إلى أن توفي سنة 1884.[3]

6-علاقة ثورة الصبايحية والكلبوتي بتونس:

مني الجيش الفرنسي بعدة هزائم ضد الصبايحية والكلبوتي فانتقم منهم بزيادة الأعمال الوحشية ضد السكان لمنعهم من دعم الثوار، ولهذا لجأ الصبايحية إلى تونس وقام الكبلوتي بمراسلة باي تونس مصطفى باشا طلبا للأمان والمساعدة، فوافق شريطة توزعهم على عدة مناطق في عرش دريد وقدمت لهم إسعافات ومساعدات غذائية، مع منعهم من القيام بالأعمال الثورية ضد الجيش الفرنسي، لكن الكبلوتي وبعد فترة وجيزة استأنف العمل الثوري، فقامت فرنسا بالاحتجاج لذى السلطات التونسية التي باشرت عمليات البحث والملاحقة في حق الكبلوتي ورفاقه، فسافر بطريقة سرية بحرا من ميناء حلف الواد سنة 1872 إلى مالطا، بقي هناك بعض الوقت ثم رجع إلى تونس سرا لكي يواصل نشاطه الجهادي، وبقي يتردد بين تونس ومالطا إلى أن تم طرده بصفة نهائية في جوان 1875 مع بن ناصر بن شهرة إلى دمشق.

توجه إلى طرابلس وبقي في بلدية زاوية، ثم رجع إلى تونس سرا وبقي في كلاص فسجنه عاملها صالح بن سعيدان الكلاصي وسلمه للوزير مصطفى بن إسماعيل وهذا بدوره سلمه للباي فسجنه بحلق الوادي ، وبعد

[1] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، مرجع سابق، ص 377.
[2] يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص ص386-387.
[3] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 222.

احتلال فرنسا لتونس 1881 طلبت تسليما الكبلوتي لكن بقي في السجن حتى تدهورت حالته الصحية ونقل للمستشفى الصادقي بتونس إلى أن توفي في شهر أفريل سنة 1884، وحضر جنازته الشيخ السنوسي.[1]

7-علاقة ثورة الاوراس (1879) بتونس:

قاد هذه الثورة محمد أمزيان[2] وسكان أولاد داود في دائرة باتنة، وبني بوسليمان في دائرة بسكرة، حيث قام الثوار بعدة هجمات على أهداف عسكرية فرنسي منذ 31 ماي 1879، واستعملت القوات الفرنسية ضد الثوار أقسى وسائل البطش والإرهاب، من قتل جماعي وتشريد ومصادرة الأملاك، وكان هدفهم تحطيم كل الآمال والسبل لاستمرار هذه الثورة وقيام ثورات أخرى في الشرق الجزائري خاصة وفي الجزائر عامة، بما أنهم كانوا يتحضرون لاحتلال تونس؛ وهروبا من هذه السياسية الهمجية فرّ خمسين من ثوار الأوراس وقائدهم إلى تونس؛ فأصدرت السلطات التونسية قرارات تحذر فيها من يتعاون أو يساعد الفارين، وقامت بنزع ممتلكات التونسيين الذين قدموا الحماية للمقاومين الجزائريين، كما كانت تضطر تحت الضغط الفرنسي إلى ملاحقة المقاومين الجزائريين في البلاد التونسية وطردهم واعتقالهم أو تسليمهم للحكومة الفرنسية.[3]

وتحت ضغط الحكومة الفرنسية سلمتها تونس قائد الثورة محمد أمزيان بن عبد الرحمن ومن معه من الثوار، فتمت محاكمتهم في ربيع سنة 1880، وصدرت في حقهم أحكام مختلفة بين الإعدام والمؤبد، والنفي داخل البلاد وخارجها، ومصادرة جماعية للأملاك[4].

8-علاقة ثورة الشيخ بوعمامة بتونس:

تشير المصادر أن الشيخ بوعمامة بعد أن كان قد حدد توقيت انطلاق ثورته مع نهاية شهر جوان 1881 على اعتبار أن موسم الحصاد قد انتهى ويكون الناس قد وفروا ما يكفيهم من المؤونة تحسبا لبداية الحرب، قام بتغيير هذا الموعد بعد إلحاح مستشاريه بضرورة استغلال رحيل معظم القوات الفرنسية إلى تونس للمشاركة في

---

[1]- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، (د ط)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص ص 531-532،

[2]- هو محمد بن محمد الصالح بن عبد الرحمان من قرية جار الله من عرش بني بوسليمان، ولد عام1849م وهو من إخوان زاوية تبرماسين الرحمانية، اشتغل بتدريس القران الكريم والإمامة، ثم التحق بقرية الحمام بولاد داود طالبا للقران والإمامة بمسجدها سنة 1877، وكان له تأثير كبير في محيطه، ينظر: عبد الحميد زوزو، ثورة الاوراس سنة 1879م، (دط)، المؤسسة الوطنية للكتاب1986، ص62.

[3]- إدريس رانسي، القبائل الحدودية التونسية والجزائرية بين الاجارة والاغارة(1830-1881)،ط1، الدار المتوسطية للنشر، تونس2016م، ص ص 33-34.

[4] - يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص265.

احتلالها، حيث اتخذ من أولائل شهر ماي موعدا جديدا لانطلاق ثورته، لكن حادثة مقتل الضابط وانبرونو (Veinbreuner) يوم 22 أفريل 1881 عجلت باندلاعها في هذا التاريخ[1].

9-موقف الجزائريين والثوار من احتلال تونس سنة 1881:

شكل حدث احتلال تونس سنة 1881 صدمة للجزائريين بشكل عام وللثوار بشكل خاص، فبالإضافة إلى أن تونس أرض عربية إسلامية وجارة شقيقة، فهم يعتبرونها وطنهم الثاني وملجأهم الدائم لإعادة الاستعداد ومواصلة المقاومة.

واشترك الجزائريون اللاجئون مع إخوانهم التونسيون في عدة معارك ضد الاحتلال الفرنسي في تونس، حيث دافعوا عن غزو جزيرة طبرقة وجبال خمير ووشتانة والفراشيش وبني مازن خلال شهر أفريل 1881، واستطاع الثائران الحاج بن خلف ومبارك بن سعيد تنسيق المقاومة بين الجزائريين المهاجرين والتونسيين بين نفطة ونفزاوة وصولا أولاد سلطان بالأوراس؛ وفي عدة مناطق من الجزائر وتونس ظهر دعاة جزائريون وتونسيون يحثون الناس على حمل السلاح ومقاومة جيش الاحتلال الفرنسي، ويبشرون بهزائم الجيش الفرنسي في تونس، فكثر نشاط اقتناء الأسلحة خاصة على الحدود الجزائرية التونسية، ونشطت تجارة الخيول التي أصبحت أسعارها مرتفعة لاستعمالها في ثورة الشيخ بوعمامة والمقاومة التونسية بتهريبها عبر الحدود.

وأصبحت الجزائر مثل تونس مسرحا للاضطرابات والقلاقل والهجومات العسكرية على أهداف فرنسية طوال عام 1881 كرد فعل على احتلال تونس، حيث ظهرت أعمال ثورية في وادي ميزاب والتوارق في أزجر وعين صالح، ووادي سوف ، وتبسة، وجبال جرجرة ونفطة... بالإضافة إلى الغرب الوهراني الذي اشتعل بثورة الشيخ بوعمامة[2].

ثانيا: علاقة المقاومة الوطنية بليبيا (طرابلس الغرب)

1- موقف ليبيا من الاحتلال الفرنسي للجزائر:

لم يكن موقف إيالة طرابلس الرسمي مشابها لموقفي تونس والمغرب، حيث أنها لم تقدم أي تسهيلات أو مساعدات للجيش الفرنسي من أجل غزو الجزائر، وعبرت على لسان حاكما عن أسفها ورفضها للحملة الفرنسية، رغم أنها عبرت على عدم قدرتها على مساعدة الجزائر بسبب المشاكل السياسية والاقتصادية التي كانت

[1] - يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص266.

[2] - نفسه ، ص 265- 272.

تعاني منها، وأنها لا تملك سوى الدعوات والصلوات لله بسلامة الجزائر وأهلها، كما ذكر قنصل بريطانيا في طرابلس أن وصول خبر سقوط مدينة الجزائر في قبضة الفرنسيين إلى ليبيا "قد أحدث قلقا وهيجانا بين سكانها المسلمين"[1].

2- علاقة المقاومة الشعبية الجزائرية بليبيا (طرابلس الغرب):

ارتبطت حركة المقاومة الجزائرية خلال القرن 19م وبداية القرن 20م بليبيا من خلال الحركة السنوسية بشكل خاص، وذلك أن مؤسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي جزائري الأصل هاجر واستقر ببرقة الليبية أين بدأ بنشر دعوته في إطار حركة صوفية سميت بالطرقة السنوسية، والتي جعلت من الجهاد ضد الحركة الاستعمارية الأوربية شعارا لها، من خلال الوقوف في وجه النفوذ المسيحي إلى الصحراء وبلاد إفريقيا السوداء، ومنه النفوذ والاحتلال الفرنسي، إلى درجة أن الرحالة الفرنسي" هنري دوفرييه (Henri Duveyrier) قال " إن السنوسية هي المسؤولة عن جميع أعمال المقاومة التي قامت ضد فرنسا في الجزائر وأنها السبب في الثورات المختلفة التي قامت ضد فرنسا كثورة محمد بن عبد الله في صحراء الجزائر (1850 - 1861) وانتفاضة محمد بن تكوك في الظهرة سنة 1881".[2]

وكان محمد بن علي السنوسي من الذين عارضوا بشدة فتوى تحرم الجهاد ضد الفرنسيين في الجزائر في فترة مقاومة الأمير عبد القادر وأحمد باي، بعد أن عرضها عليه الجاسوس ليون روش عندما كان السنوسي في مكة، في حين وافق عليها علماء آخرون، كما كان السنوسي على علاقة كبيرة بقادة المقاومة الشعبية الجزائرية ومنهم الأمير عبد القادر، حيث أرسل له أحد تلامذته وهو محمد بن الصادق مع دعم مالي لمساعدته في مقاومته للاحتلال الفرنسي[3].

وكانت أشهر المقاومات الشعبية ارتباطا بالحركة السنوسية ثورة الشريف محمد بن عبد الله، والتي يمكن أن نقول أنها قامت تحت الغطاء السياسي والديني للحركة السنوسية، وكان محمد بن عبد الله التقى الشيخ محمد بن علي السنوسي أثناء إقامته في مكة المكرمة فلازمه وتتلمذ عليه وأصبح من أهم أتباعه، وبعد مدة طلب الشيخ

---

[1] - مسعودي أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها 1792 - 1830، دار الخليل العلمية للنشر، الجزائر، ص169 – 171.

[2] - علي الصلابي محمد ، السنوسية للحركة الزكية الثمار ، ليبيا في الدعوة والنشر، التوزيع دار ، القاهرة، 2005 ص ، 45.

[3] - محمد بن عثمان الحشائشي التونسي، رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895 (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)، تقديم وتحقيق: علي مصطفى المصراتي، دار لبنان للطباعة، بيروت، 1975، ص 173.

السنوسي من محمد بن عبد الله أن يسبقه إلى الجزائر ويشرع في الإعداد للعمل الثوري، وأكد له بأنه سيلحق به عندما تساعده الظروف[1].

وبعد رجوعه للجزائر استقر محمد بن عبد الله في زاوية الرويسات بورقلة، وهناك بدأ في التخطيط للقيام بحركة ثورية، في ذلك الوقت عاد محمد بن علي السنوسي من الحجاز واستقر في برقة بليبيا وأخذ يراسل القبائل والزوايا التي كانت تحترمه وتقدره بأن تدعم حركة محمد بن عبد الله، فاستجاب له عبد الله بن خالد زعيم قبيلة المخادمة، الذي ساعد في نشر سمعة محمد بن عبد الله والتفاف المريدين حوله إلى بايعه سكان ورقلة سلطانا عليهم في أوت 1851[2]؛ ومن هناك بدأ ينادي للجهاد ضد الفرنسيين، ولم ينقطع اتصاله بالسنوسي وليبيا حيث كان يتنقل بين الحدود الجزائرية الليبية، وتميز كفاحه بالتجدد مع بداية كل ثورة كما انتقل إلى تونس كما سبق أن ذكرنا، وعاد إلى ليبيا في أواخر عهده بالجهاد الذي دام على مدار نصف قرن من الزمن إلى غاية سنة 1895 تاريخ وفاته.

ووقفت الطريقة السنوسية في وجه الاحتلال الفرنسي مع نهاية القرن 19م بشن عدة هجومات على مواقعه في الصحراء الجزائرية انطلاقًا من الأراضي الليبية والتشادية والنيجيرية التي كانت تنشط بها الحركة، ومنها معركة كبيرة جرت سنة 1902 انتهت بانتصار السنوسيين بمشاركة الجزائريين ومنهم قادتها محمد البراني وبوعقبة، وكان للحركة السنوسية دور هام أيضًا في اندلاع ثورة الهقار ضد المستعمر الفرنسي التي قادتها قبائل الطوارق والشعانبة[3].

وتزامنا مع الاحتلال الإيطالي سنة 1911 م تحرك الشيخ أمود قائد ثورة الهقار بمساعدة ودعم أتباع الطريقة السنوسية لمحاصرة القوات الفرنسية في واحة جانت ووقعت معركة شرسة في المكان المسمى إسولان حيث شددوا وتكبد الجيش الفرنسي خسائر مادية وبشرية الكبيرة، واستمر دعم ثوار السنوسية لهذه الثورة سواء داخل الجزائر أو في الأراضي الليبية عندما كان يلجأ إليها قادة ورجال المقاومة[4].

وعرفت المقاومة الليبية للغزو الإيطالي منذ سنة 1911 وجود الآلاف من المتطوعين الجزائريين خاصة منهم اللاجئين الفارين من الجزائر بعد القيام بأعمال ثورية، وكان في مقدمتهم الأمير علي باشا (ابن الأمير عبد القادر) وابنه الأمير عبد القادر، واللذان كان لهما دور كبير في قيادة الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي[5].

---

[1] – .يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق ، ص153 .

[2] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 118.

[3] –عبد الله مقلاتي، الدعم الليبي للثورة التحريرية، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، ص39

[4] – إبراهيم العيد بشي، دور سكان الجنوب الشرقي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 11، جوان 2013، ص34

[5] –عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص39 – 42.

المحاضرة الرابعة عشر

علاقة المقاومة الوطنية بالمغرب الأقصى

أولا: موقف المغرب الأقصى (الدولة العلوية) من الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830:

1. الموقف الرسمي:

كان السلطان المغربي من بين من راسلهم الداي حسين طالبا النجدة بعد تأكده من عدم قدرته على مجابهة القوات الفرنسية، لكن السلطان المغربي رفض ذلك؛ لكنه في نفس الوقت أظهر رفض دعم فرنسا بعد أن عرضت عليه النتائج المتوقعة من هذه الحملة وأن المواطنين الفرنسين المرافقين لها يمكن أن يلجؤون إلى المغرب، فاتسم موقفه في البداية بعدم تدخل بلاده في القضية الجزائرية بشكل كامل.[1]

لكن سلطان المغرب وخشية من عدم رضا فرنسا وخوفا منها أصدر مرسوما في أوت 1830 يقضي بتقديم مساعدة غذائية للحملة الفرنسية، وتأمين السفن الفرنسية تعبر مياه الأقاليم المغربية، كما أنه ساعد فرنسا في عملية التحضير والتخطيط لحملتها على الجزائر، حيث أرسل العديد من الجواسيس في شكل مريدين للطريقة الطيبية والشاذلية في الجزائر، حيث دخلوا الجزائر متسولين وأفادوا فرنسا بالكثير من المعلومات.[2]

وبعد وقوع احتلال الجزائر أظهر سلطان المغرب أسفه واستياءه:" ... الواقعة التي ساءت الإسلام والمسلمين وأدمت أهل التقوى والدين من استيلاء عدو الله الفرنسيين على ثغر الجزائر... إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اجر المسلمين في هذه المصيبة العظمى، واجعل رد هذا ثغر قضاءا سابقا وحكما، وامضي العدو الكافر بريقه، وأعجل بهلاك فريقه ، واجبر سطع الإسلام بجاه النبي عليه السلام..."[3]، لكن عبارات التعزية والاستياء لا يمكن اعتبارها موقفا إيجابيا من السلطة الرسمية في بلد مجاور للجزائر.

وأبدى سلطان المغرب تعاطفا مع المهاجرين الجزائريين الفارين إلى المغرب، وأمر بقديم المساعدات لهم وأعطاهم الحرية، كما أنه غير موقفه بعد سقوط مدينة الجزائر لإدراكه أن فرنسا ربما أصبحت تشكل خطرا على أراضيه بعدما شرعت في بسط نفوذها في الإقليم الغربي، الذي كان يطمع فيه أيضا، وقد حدث هذا فعليا من

---

[1]- مسعودي أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها 1792 - 1830، دار الخليل العلمية للنشر، الجزائر، ص 67.

[2]- يحي جلال واخرون، مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، دار المعارف ، القاهرة ، 1992، ص 10.

[3]- عز الدين بن سيفي، العلاقات الجزائرية المغربية (1246هـ-1330هـ /1830-1912م) ، رسالة دكتورة في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، 2017-2018، ص 70.

خلال تلبيته لنداء سكان مدينة تلمسان ورغبتهم في الدخول تحت سلطته وطاعته، حيث كلف ابن أخيه مولاي علي مع عامل وجدة إدريس الجراري و500 فارس و100 من المشاة بالتوجه نحو تلمسان، فوصل الجيش إليها يوم 7نوفمبر1830، لكن المحاولة فشلت بعد خلاف مع الكرغليين في المدينة، وبعد ضغوطات فرنسية، وهذا ما جعل سلطان المغرب يأمر بسحب تلك القوات في مارس 1831، وكانت محاولة أخرى في 3 أوت 1831، لكن إرهاق الناس بالضرائب ومحاولة إخضاع القبائل بالقوة أثار نقمة السكان مع استمرار ضغط فرنسا على سلطان المغرب، ما جعل الوفد المغربي ينسحب من تلمسان مرة أخرى ويعود إلى المغرب. [1]

2. الموقف الشعبي:

أبدى الشعب المغربي إستياءا شديدا من الاحتلال الفرنسي للجزائر، وأظهروا تعاطفا وتضامنا مع إخوانهم الجزائيين وكانت عيون كل المغاربة مركزة على غزو مدينة الجزائر، وقد أدى سقوطها إلى حزن قلوب المغاربة"[2].

ومن الصور التضامنية للمغاربة رسالة النصرة التي حملها الشعب المغربي مظهرين فيها نار الحمية والغيرة؛ كما كانت منابر المساجد في المغرب الاقصى منابر للنصرة والدعاء والحث على الصبر والجهاد، في حركة لإحياء الوعي الديني والوطني والحث على التعاون من الأئمة والفقهاء ورجال الاصلاح، محاولين إظهار أن فرنسا كانت تريد القضاء على الدين الاسلامي وتنصير المسلمين؛ كما أحسن المغاربة استقبال المهاجرين الجزائريين الفارين من ويلات المعارك، ووفروا لهم كل ما يحتاجونه من أمن وأكل ودعم. [3]

ثانيا: علاقة المقاومات الشعبية الجزائرية بالمغرب الأقصى:

1- علاقة مقاومة الأمير عبد القادر بالمغرب الأقصى:

كان لبداية المقاومة الشعبية وخاصة في الغرب الجزائري بقيادة والد الأمير عبد القادر ثم ابنه دور في تفطن وإدراك السلطان المغربي لخطر الاحتلال الفرنسي واحتمال توسعه إلى الأقطار المجاورة، كما أن المقاومة الشعبية بالغرب الجزائري رأت في سلطان المغرب منذ البداية أملا لدعمها ضد الاحتلال الفرنسي، حتى أن شيوخ القبائل

[1] – عز الدين بن سيفي، المرجع السابق ، ص ص 53-57.

[2] – نور الدين بلعربي، العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الامير عبد القادر(1830-1847)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص العلاقات بين ضفتي البحر الابيض المتوسط المغرب- اوروبا، جامعة الجزائر،2008،ص 31،

[3] – عز الدين بن سيفي، المرجع نفسه، ص ص76-77.

وأتباعهم لم يكتفوا بتحذيره وتبصيره بخطر الاحتلال بل عرضوا عليه أن يبايعوه سلطانا عليهم إذ هو مد يد المساعدة لهم ضد عدوهم المشترك في حالة اعتذار الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر عن الإمارة. [1]

وبعد تولي محي الدين الإمارة وقيادة المقاومة في الغرب الجزائري ومن بعده ولده الأمير عبد القادر، وبعد توالي الانتصارات على العدو الفرنسي، قرر الأمير عبد القادر ربط علاقات خارجية مع دول أوربية وعربية وتوطيدها مع دول أخرى ومنها أقرب الدول له وهي المغرب الأقصى، حيث تميزت علاقته مع سلطانها بالتعاون في شتى المجالات، ولم يبخل سلطان المغرب في تقديم المساعدات والتسهيلات للأمير عبد القادر الذي كان يبادله كل المودة والاحترام، وظهر ذلك من خلال استشارته في العديد من القضايا التي تخص بناء دولته الفتية، كما أنه كان يستشير علمائه في فتاوى دينية، خاصة ما يتعلق بمحاربة الخارجين عليه من القبائل الجزائرية[2].

وتنوع الدعم المغربي للأمير من سياسي دبلوماسي إلى عسكري اقتصادي، حيث سهّل عليه ربط علاقات مع دول أوربا وتنشيط المبادلات الدبلوماسية والتجارية والعسكرية معها عبر المغرب الأقصى، وأرسل له مرات عديدة تجهيزات عسكرية مختلفة من بنادق وذخيرة وخيول وسيوف وألبسة عسكرية وحتى أموال، منها 100 بندقية ومثلها من السيوف سنة 1833[3]، حتى أن الأمير كان يجول الأراضي المغربية دون عناء وكأنه في بلده.

هذه العلاقة لم تعجب فرنسا فلجأت إلى اتخاذ سياسة التهديد أو طلب المهادنة مع السلطان المغربي كما فعلت عندما فكر السلطان ضم تلمسان سنة 1831، وكذلك فعلت عند وصول أخبار تزويد السلطان للأمير بأسلحة وذخائر، حيث قامت الحكومة الفرنسية بتوجيه احتجاج شديد اللهجة إلى السلطان بطلب احترام ما سبق التعهد به أي عدم التدخل في القضية الجزائرية[4]، وقامت بوضع حامية صغيرة لمراقبة الشواطئ الغربية في أكتوبر 183 ، سعيا لقطع التموين عن الأمير[5]، كما عملت على بث الجواسيس والعملاء لرصد أخبار الأمير عبد القادر وعلاقته مع السلطان عبد الرحمان وكانت مهامهم أيضا تكمن في زعزعة هذه العلاقة، وفي مقدمتهم مصطفى بن إسماعيل وليون روش.

---

[1] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 34؛ يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الطبعة الثانية، دمشق، 1964م، ص196.

[2] – 45 ص ، دار الكتاب، الدار البيضاء، 9،1997 ج الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن حمد .

[3] 53 ص السابق بلعربي، المرجع الدين – نور

[4] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص11

[5] – عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4 ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص325

ورغم التطمينات التي كان يبعثها سلطان المغرب إلى السلطات الفرنسية، بداية بكونه يبعث تجهيزات غير صالحة وأنه يرد على هدايا الأمير عبد القادر فقط، ثم بنفيه تقديم أي مساعدات للأمير عبد القادر حسب المعاهدة المبرمة بينه وبين الفرنسيين بتاريخ 06 أوت 1836، وأخيرا تعهده بعدم تقديم أي مساعدات مهما كان نوعها للأمير حسب اتفاق آخر مع فرنسا، إلا أنه واصل دعم الأمير خاصة بعد توالي انتصاراته العسكرية والسياسية مثل تحرير مدينة تلمسان وإبرامه لمعاهدة تافنة التي ساهمت في توسيع دولته وزيادة قوتها، وهذا زاد ثقة سلطان المغرب باعتماده على الأمير عبد القادر على الأقل لتجنيبه اقتراب الاحتلال الفرنسي من حدود مملكته.

بعد نقض معاهدة تافنة سنة 1839 واستئناف المواجهات العسكرية بين الأمير عبد القادر والجيش الفرنسي الذي ضاعف من تعداده وتجهيزاته، بدأت قوة الأمير عبد القادر في التراجع من خلال انهزامه في بعض المعارك وخسارته لبعض المناطق، إلى غاية نجاح الجنرال بيجو في القضاء على عاصمة الأمير عبد القادر المتنقلة "الزمالة"، وملاحقته في الصحراء، وأمام هذا الضغط لجأ المير عبد القادر إلى المغرب الأقصى[1] أين وجد المساندة من المغاربة شعبا وسلطة، فأعاد هناك تنظيم جيشه وتجهيزه وشن هجومات على مصالح فرنسية قرب الحدود.

بدأت السلطات الفرنسية بالضغط على السلطان لمنع الأمير عبد القادر من عبور الحدود إلى الجزائر، لكنه ادعى أن منطقة الريف التي تدعمه خرجت عن طاعته وأصبحت تحت سلطة الأمير[2]، تأزم الوضع ليتطور إلى مواجهة عسكرية بين الجيش الفرنسي وجيش سلطان المغرب في ماي 1844، اضطر الجيش المغربي على إثرها إلى الانسحاب، ثم احتلت القوات الفرنسية وجدة المغربية في 19 جوان 1844 لكنه انسحب منها مباشرة[3]، وزادت الأمور توترا للتطور إلى معركة كبيرة وقعت في 14 أوت 1844 في وادي أيسلي، كما قصفت القوات البحرية الفرنسية ميناء طنجة والصويرة، ومني الجيش المغربي بهزيمة سريعة، وهددت القوات الفرنسية بمواصلة الزحف إلى مدن مجاورة كفاس وغيرها، وهذا ما جعل السلطان المغربي يوافق على عقد الصلح الذي كان يوم 10 سبتمبر 1844 والذي سمي بمعاهدة طنجة، أهم ما جاء في بنودها أن الأمير عبد القادر يعد خارجا عن القانون تلاحقه القوات الفرنسية في الجزائر وتلاحقه القوات المغربية في الأراضي المغربية إلى أن يُطرد منها، وفي حالة وقوعه في يد القوات الفرنسية تعامله معاملة حسنة، وفي حالة وقوعه في يد القوات المغربية تسجنه في أحد سجون المدن الساحل المغربي. [1]

---

[1]- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر، ج1، المصدر السابق، ص 516.

[2]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 238-239.

[3]- أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، ج2 ، المرجع السابق، ص462

[1]- يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832-1847)، 1990، المصدر السابق، ص: 47.

رفض الشعب المغربي هذه المعاهدة وعبروا عن سخطهم واتهموا سلطانهم بالضعف والجبن، وراسل سكان مدينة وجدة وفاس من موظفين عسكريين ومدنيين ومن الطبقات التجارية الأمير عبد القادر تدعوه وترجوه لتولي عرش الدولة المغربية وانقاذها من الانهيار والخراب، لكنه رفض[1].

ولإرضاء فرنسا وخوفا من تعاظم سلطة الأمير والتفاف المغاربة حوله، خطط السلطان لاستدراجه واعتقاله، لكن الأمير عبد القادر تفطن لحيلة السلطان بدعوته لمدينة فاس من أجل التحاور والتفاهم؛ لكن القبائل المغربية الداعمة للأمير عبد القادر زاد تمسكها به وإلحاحها عليه ليكون سلطانا عليهم، خاصة بعد توقيع السلطان المغربي لمعاهدة "لالا مغنية"[2] مع العدو الفرنسي وذلك في 18 مارس 1845 والتي جاءت لترسيم الحدود بين المغرب والجزائر، وتسهيل عملية القضاء على نشاط حركة الجهاد الجزائرية [3].

واصل السلطان جهوده للتخلص من الأمير عبد القادر، فبدأ بتشويه صورته وتأنيب القبائل المغربية ضده وإرسال الأوامر إلى عماله على الحدود الشرقية للمغرب بضرورة طرد الأمير أو اعتقاله أو اغتياله، وكلف مجموعات من المقاتلين بشن غارات حربية عليه، و أعطيت الأوامر سريا إلى القبائل المغربية في أن لا تبيع المواد الغذائية إلى دائرة الأمير عبد القادر وتؤذيها وتقوم بنهبها، فوجه الأمير نداء إلى السلطان عبد الرحمن لوقف هذا التصرف، فلم يتلق جوابا ولا إصلاحا للحالة، وقد تحمل هذا الوضع ستة أشهر، وكتب مرة أخرى السلطان المغربي محذرا من أنه إذا استمر هذا الوضع فسيأخذ بثأره لحقوقه ولنفسه[4].

وعاد الأمير عبد القادر إلى الجزائر ليقوم بسلسلة من المعرك انتصر في عدد كبير منها عبر عدة مناطق (سبقت الإشارة إلى ذلك بالتفصيل في محاضرة سابقة)، ثم رجع مرة أخرى إلى معسكره في المغرب الأقصى، لكن هذه المرة وجد السلطان يحضر نفسه ليحاربه، ولم يبق خيار أمام الطرفان سوى التصادم العسكري وهذه المواجهة أصبحت حتمية ظهرت على مدى سبعة أشهر بين سنتي 1847 و1848، وشهدت خمسة معارك، كانت أهمها معركة تافريست، معركة قلعية، معركة عجرود؛ ورغم تبادل الطرفان الانتصارات والهزيمة، إلا أن هذه المواجهات أثرت سلبا على كلا الطرفين، مما اضطر الأمير إلى رفض مواصلة القتال ضد القوات المغربية والعودة إلى الجزائر أين وجد

---

[1] – هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص290.

[2] – عقدت هذه الإتفاقية بالخصوص من أجل تثبيت رسم الحدود بين مملكة مراكش (المغرب الأقصى) والجزائر المحتلة، والتي اتفق الطرفان أن تبقى كما كانت أيام حكم العثمانيين للجزائر على امتداد وادي تافنة في الشمال دون إشهار معالم الحدود بالحجارة أو ماشابه ذلك، وفي الجنوب لا ترسم الحدود باعتبار الأراضي قاحلة وليست ذات أهمية، وأكدت ما جاء في معاهدة طنجة سبتمبر 1844 التي نصت أن المغرب لا يمكن له ان يساند الامير عبد القادر، أنظر: Pierre Albin, Les grands traités politiques : recueil des principaux textes diplomatiques de 1815 à 1914, 3eme Ed, Librairie Félix Alcan, Paris ,1923, p 297-331

[3] – يوسف مناصرية، المصدر السابق، ص47

[4] – هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص306..

الجيش الفرنسي في انتظاره، ويضطر أخيرا إلى الاستسلام بعد تراجع قوته العسكرية عددا وعدة، وخوفه على سكان القبائل وعائلات مقاتليه من بطش الجيش الفرنسي.

من خلال ما سبق نلاحظ أن الموقف الرسمي المغربي من مقاومة الأمير عبد القادر كان متقلبا، حيث كان السلطان المغربي حليفا للأمير عبد القادر في البداية، ثم اتخذ موقف الحياد والتقرب من الفرنسيين من أجل اتقاء عدائهم، وأخيرا أصبح حليفا لفرنسا ضد الأمير بل وحاربه لطرده من المغرب، بينما كان الموقف الشعبي المغربي أكثر تشريفا وتباثا، ظهر من خلال المساعدات الحربية والغذائية التي قدمتها بعض القبائل المغربية لجيش الأمير عبد القادر خاصة في أحلك الأوقات، بل وصل بهم الأمر إلى محاولة مبايعته أميرا لهم، لكن الأمير رفض ذلك احتراما للسلطان المغربي وتأكيدا على عدم وجود أطماع سلطوية لديه.

2- علاقة حركة قبائل بني سناسن (1859م) بالمغرب الأقصى:

ترتبط حركة بني سناسن بسلاطين المغرب الأقصى من جهة وسياسة الفرنسيين التعسفية اتجاه سكان المنطقة من جهة أخرى؛ وهناك صلات قرابة ومصاهرة من الجانبين الجزائري والمغربي، حيث أن السلطان كان يخشى الخطر الفرنسي من الناحية الشرقية، التي كانت تكثر فيها الاعتداءات بدعوى تتبع الثوار الجزائريين.

ويعود أهم سبب لاندلا ع ثورة بني سناسن إلى تشجيع السلطان المغربي لقبائل مهاية وأنجاد ضد قوات الحراس الحدود الفرنسية ، فهاجموا قافلة أوروبية يوم 10 أوت 1859، على إثر هذه الأحداث قام حاكم الغزوات بوبرتير بإغلاق الحدود بين الجزائر والمغرب، وإيقاف حركة التبادل التجاري للحبوب، وتم ذلك في الفترة التي فشا فيها القحط والجفاف وقلة الحبوب والمواد الغذائية. [1]

امتدت الأحداث إلى سهل سكان بني سناسن وحل بينهم رجل يدعى "الشريف محمد عبد الله" قدم من المغرب الأقصى وأعلن الجهاد ضد الفرنسيين باسم ابن السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام وخاض مع الفرنسيين عدة معارك[2]، ورغم أن هذه الثورة لم تدم طويلا حيث انتهت يوم 11 نوفمبر من نفس السنة إلا أنها أظهرت تعاون وتضامن الشعبين الجزائري والمغربي على الحدود بين البلدين.

3- علاقة مقاومة أولاد سيدي الشيخ (1864-1881) بالمغرب الأقصى:

اندلعت ثورة أولاد سيدي الشيخ فرع الشراقة بالجنوب الوهراني، ومن أهم دوافعها الأوضاع المتدهورة والظلم الاستعماري وسوء سياسة المكاتب العربية تجاه السكان وإرهاقهم بالضرائب والغرامات وتحقيرهم، وأيضا أنزال

[1]- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في التاسع عشر، المرجع السابق، ص 146.

[2]- نفسه، ص 147.

مكانة أولاد سيدي الشيخ إداريا حيت استبدلت مكان الخليفة بالباشا أغا[1]؛ والأكثر من ذلك اعتداء جنود الصبايحية التابعين للمكتب العربي بالبيض علي سي فضيل كاتب سي سليمان بن حمزة يوم 29 مارس 1864 فدعا سي سليمان إلى حمل السلاح[2].

وقد خاض الثوار العديد من المعارك ضد الفرنسيين أهمها: معركة حاسي بن عتاب 16 مارس 1866، معركة غار القيفور في 13 ابريل 1866، معركة ام دبدب في 7 فيفري 1869، ومعركة ماقورة في 7 افريل 1871[3]

وكان لأولاد سيدي الشيخ علاقة مع المغرب الأقصى قبل اندلاع ثورتهم حيت تزوج مولاي عبد الرحمان بالسيدة الياقوت أخت حمزة سنة 1844، ومع تواصل ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة طلبت فرنسا من سلطان المغرب أن يكون حريصا على منع فرع أولاد سيدي الشيخ الغرابة من المشاركة في هذه الثورة مع بني عمومتهم، طبقا لاتفاقية لالا مغنية المبرمة بين فرنسا و السلطة المغربية[4]، لكن قبائل أولاد سيدي الشيخ الغرابة كانوا يدعمون أبناء عمومتهم في الثورة، وهذا ما جعل سلطان المغرب يقوم بمعاقبتهم في نوفمبر سنة 1864 لدفعهم على انهاء هذا الدعم خدمة للسلطات الفرنسية. [5]

وفي مارس 1866 توجه سي سليمان بن قدور إلى المغرب لاستمالة القبائل المغربية بغية إعادة دعمه في الثورة، فواصلت فرنسا الضغط على السلطات المغربية لمنع ذلك، فامتثل السلطان محذرا تلك القبائل[6]، الشيء نفسه فعله سي قدور بن حمزة عندما تولى زعامة الثورة، لكن الدعم انقلب إلى عداء بعد مهاجمة أولاد سيدي الشيخ للقبائل المغربية في شرق وجدة، في شكل إغارة لأخذ الغنائم.

وكان قادة ومقاتلي أولاد سيد الشيخ يلجؤون في كثير من الأحيان إلى الأراضي المغربية خاصة بعد انهزامهم في بعض المعارك وفرارهم من ملاحقات الجيش الفرنسي، لكن السلطات المغربية كانت تحاول منعهم ودفعهم للعودة إلى الجزائر، وأحيانا كان سلطان المغرب يحاول استمالتهم إلى صفه بعد تحقيقهم لسلسة من الانتصارات؛ وتأييد سلطان المغرب لأولاد سيدي الشيخ في هذه الحالات هدفه الضغط على السلطات الفرنسية.

---

[1]- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في التاسع عشر، المرجع السابق ، ص176.

[2]- العربي منور، المرجع السابق، ص 2111.

[3]- بشير بلاح، المرجع السابق، ص137.

[4] - Louis VOINOT : la Situation sur la Frontiére Algéro-Marocaine du Tell Lors de l'insurrection des OULED sidi Cheikh dans la Sud Oranais (1864-1870), Revue Africaine N) 300, 1919, p410 .

[5]- محفوظ قداش، جزائر الجزائريون تاريخ الجزائر (1830 1954)، تر: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر الإشهار، الجزائر، 2008، ص196

[6]- عز الدين بن سيفي، المرجع السابق، ص ص 166-167.

كما استطاعت السلطات الفرنسية استمالة الشريف الوزان الذي اقنع سي سليمان بن قدور للذهاب إلى سلطان المغرب من أجل التفاهم سنة 1876، وانتهى لقائهما بتقديم سي سليمان وعود بعدم القيام باي نشاط ثوري ضد الفرنسيون وضد سيادة المغرب، فعين السلطان له مسكن في مكناس ثم رخص له الإقامة في فاس. [1]

وتواصلت مناوشات قبائل أولاد سيد الشيخ على الحدود الجزائرية المغربية رغم تراجع حدتها إلى غاية قيام ثورة الشيخ بوعمامة سنة 1881.

4- علاقة ثورة الشيخ بو عمامة بالمغرب الأقصى:

كانت أول معارك ثورة الشيخ بوعمامة يوم 27 أبريل 1881 واختلفت أسباب قيام بوعمامة بالثورة، منها ممارسات ضباط المكتب العربي الاستفزازية ضد قادة قبائل أولاد سيد الشيخ، إضافة إلى السياسة الفرنسية العامة التي كانت سببا في معظم المقاومات الشعبية المسلحة.

وكان بوعمامة يتوقع أن يحصل على دعم وتأييد من السلطات في المغرب عندما التحق بأراضيها هروبا من ملاحقات الجيش الفرنسي لكن آماله خابت، فدخل في صراع مزدوج ضد جيش الاحتلال الفرنسي وفرق جيش المخزن المغربي، لكنه استغل ظهور الروقي بوحمارة معارضا للسلطان المغربي، الذي تواصل معه سي الطيب إبن الشيخ بوعمامة واتحد معه، وذلك ابتداء من 1902 ثم انضم الاثنان إلى بوعمامة نفسه واتفقوا على تنسيق العمل ضد قوات السلطان والاحتلال الفرنسي، وعلى هذا الأساس انتقل كل من بوعمامة والروقي بوحمارة إلى مناطق بورفو سنة 1903م، ونجحا في دفع سكان مناطق الحدود بين الجزائر والمغرب إلى الثورة وحمل السلاح معهما، وخاض القائدان عدة معارك مع جيش المخزن والجيش الفرنسي بين الأراضي الجزائرية والمغربية، وعندما تقدم به السن في 1906 وبدأ يشعر بالتعب والارهاق أخذ يراسل القوات الفرنسية طالبا السلم والأمان وإطلاق سراح ابنه الذي اعتقله سلطان المغرب، فلبى الحاكم العام في الجزائر طلباته ونقل ابنه إلى الجزائر، وأتم ما بقي من حياته في عيون سيدي ملوك بضواحي وجدة حتى توفي هناك خلال شهر أكتوبر سنة 1908 على عمر ناهز سبعين عاما، قضى منها 28 عاما في الجهاد والمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي[2].

[1] – يحي بوعزيز، ثوارات الجزائر في التاسع عشر، المرجع السابق، ص 213.

[2] – عبد الحميد زوزو، ثورة الشيخ بوعمامة (1881-1908): جانبها السياسي، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص 33-42.

خاتمة عامة

من خلال ما سبق يمكن الوقوف عند الملاحظات والاستنتاجات التالية:

- حاول الاستعمار الأجنبي الأوربي وفي مقدمته الاحتلال الفرنسي وعلى مرّ قرون بسط سيطرته على دول المغرب العربي وعلى رأسها الجزائر، بدوافع اقتصادية، سياسية ودينية وغيرهاّ؛ وباستغلالها لقوتها وتراجع قوة الجزائر العثمانية، وبعد تخطيط وجملة من المشاريع واختلاق للذرائع والأسباب الواهية استطاعت فرنسا أن تحتل الجزائر سنة 1830.
- بعد انهزام وفشل المقاومة الرسمية لجيش الداي واستسلامها لجيش الاحتلال، قامت المقاومات الشعبية كرد فعل فوري وطبيعي لإيقاف زحفه ومحاولة طرده، وتنوعت هذه المقاومات الشعبية بين المسلحة والسلمية، وإن كانت غالبيتها مسلحة بين مقاومات وثورات وانتفاضات حسب الظروف ومراحل الاحتلال.
- تنوعت الأسباب العامة التي أدت إلى قيام المقاومات الشعبية، سواء السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية أو الدينية..، في مقدمتها فشل المقاومة الرسمية، ووجود الاحتلال الأجنبي وسياسته التوسعية والقمعية وكذا الرغبة الدينية في الجهاد، رغم تركيز المؤرخين الفرنسيين على الأسباب الاقتصادية التي كانت مجرد منبهات للشعب الجزائري أن الاستعمار هو السبب الرئيسي في سوء أحوالهم المعيشية والصحية.
- تعددت خصائص ومميزات المقاومات الشعبية كامتدادها الزماني وانتشارها المكاني وتواصلها، ثم عفويتها وقله تنظيمها في غالب الأحيان، واعتمادها عادة على حرب العصابات، واعتمادها الكلي على العنصر الوطني المحلي وبشكل خاص القبلي الريفي، وتنوع قيادتها بين الرجال والنساء، بين رجال الدين والسياسة العسكريين....
- ومن حيث أسباب توقفها فيبقى في اختلال موازين القوى، وسياسة الاحتلال القمعية الانتقامية من الشعب، وغياب الدعم الخارجي، وكثرة المتعاونين مع الاحتلال من السكان واليهود والنصارى، إضافة إلى الصراعات والحسابات الشخصية لبعض قادتها التي حالت دون وحدتها...

- اختلفت المقاومات الشعبية من حيث أهميتها، حيث استطاعت المقاومة في العاصمة بنوعيها السياسي والعسكري وكذلك في متيجة أن تبرهن للمحتل أن سقوط العاصمة السهل بعد استسلام المقاومة الرسمية لا يعني سقوط باقي مناطق البلاد بنفس السهولة، وبرز الأمير عبد القادر وأحمد باي في المرحلة الأولى بدفاعهما على جهتي الغرب والشرق قبل وقوعهما تحت سيطرة الاحتلال، وفي الجنوب قاد أولاد سيد الشيخ وبعدهم بوعمامة ثورات أخرت احتلال الصحراء التي شهدت في اقصى جنوبها مقاومة الهقار؛ ورغم سيطرته على أغلب المناطق مع نهاية القرن 19م، إلا أن الاحتلال لم يهنأ بالهدوء والسلم، حيث استمرت الثورات والانتفاضات دون انقطاع.
- شكلت المقاومات الشعبية مع دول الجوار صورة للمقاومة المغاربية المشتركة للاحتلال الأجنبي رغم تخاذل السلطات الرسمية لهذه الدول أحيانا، حيث أظهرت شعوب تونس والمغرب وليبيا تضامنا مع الشعب الجزائري في محنته ضد الاحتلال الفرنسي، وذلك بالدعم المادي والمعنوي وباحتضان الثوار ومساعدتهم في مقاومة الاحتلال الفرنسي، ورد الشعب الجزائري بمساندة هذه الشعوب عندما تعرضت هي كذلك لاحتلال الأجنبي.
- لم تحقق المقاومات الشعبية المسلحة الهدف الرئيسي وهو طرد الاحتلال وتحقيق الاستقلال، إلا أنها استطاعت أن تحافظ على بقاء الضمير الوطني والروح الثورية وترسيخ معاني الجهاد، وتدعيم الفكر الرافض للاحتلال والوجود الأجنبي بجميع أشكاله ومظاهره، ونبذ الروح الانهزامية والاستسلام للعدو، وهذا ما أثر بشكل إيجابي على تطور الحركة الوطنية السياسية، ثم على الثورة التحريرية التي حققت الاستقلال.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم**

أولا: المصادر.

1- الأرشيف:

أ- باللغة العربية:

الأرشيف الوطني الجزائري (الجزائر العاصمة):

- دفتر خط همايون، عدد 48131، 1254هـ/1838م، رسالة من الحاج أحمد باي، باي قسنطينة إلى سعادة كامل باشا سفير بروسيا.
- دفتر خط همايون، عدد 33016، 1253هـ/1837م، رسالة واردة من الجزائر متعلقة بهجومات قوات أحمد باي على القوات الفرنسية.
- دفتر خط همايون، عدد 37483B، 1254هـ/1838م، رسالة إلى الديوان الهمايوني عن أوضاع قسنطينة ومنع وصول الامدادات إليها.

ب- باللغة الفرنسية:

أرشيف ولاية الجزائر **Archives de la wilaya d'Alger**

- A.W.A, Cabinet du gouverneur Général de l'Algérie, Rapport sur les troubles insurrectionnels de l'arrondissement de Batna en 1916, par l'inspecteur Général des communes mixte « Octave Depont », 01/09/1917.

2- الكتب:

أ- باللغة العربية:

- أحمد باي بن محمد الشريف بن أحمد القلي، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، تحقيق محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1971.
- الآغا المزاري بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج2، تح: يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر: سيرة ذاتية، تح: محمد الضغير بناني وآخرون، دار الأمة، الجزائر، 1994.
- الأمير محمد أبن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1 وج2، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الاسكندرية، 1903.
- بن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج4، الدار التونسية للنشر، 1989.
- بيرم محمد الخامس ، صفوة الاعتبار لمستودع الأمصار والأقطار، دار صادر، بيروت، 1948.
- تشرتشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974.

- خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- الزهار أحمد شريف ؛ مذكرات أحمد شريف نقيب أشراف الجزائر (1246-1168هـ/1754 183-م)، تحقيق، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر 1980.
- شالر وليام ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، تقديم وتعريب: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- كوران أرجمنت، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970.
- الحشائشي التونسي محمد بن عثمان ، رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895 (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)، تقديم وتحقيق: علي مصطفى المصراتي، دار لبنان للطباعة، بيروت، 1975.
- الناصري أحمد بن حمد ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج9 ، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997،

ب– باللغة الفرنسية:

- Berteuile Arsène, L'Algérie française : histoire, moeurs, coutumes, industrie et agriculture,T1,Dentu Librairie Editeur, Paris, 1856.
- Blanc Paul, L'Insurrection en Algérie, Imp de L'Akhbar, Alger, 1864
- Carpentier .P, Le Duc de Rovigo et Pichon , imprimerie de David, Paris 1852 .
- Coipel, le recrutement des indigènes d'Algérie, librairie militaires R.Chapelot, Paris, 1910.
- Corneille Thrumelet (Colonel), Histoire de l'insurrection des Ouled Sidi Ech-chikh (sud Algérie) 1864-1880, Seconde partie, Adolphe Jordan Libraire-Editeur, Alger, 1884
- Corneille Trumelet, Histoire de l'insurrection des Ouled Sidi Ech-chikh (sud Algérie) 1864-1880, Seconde partie, Adolphe Jordan Libraire-Editeur, Alger, 1884.
- Corneille Trumlet, Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864, Alger 1879.
- d' Angeville Adolphe, Essai sur la Statistique de la Population Française, BOURG Imprimerie de Fred dupour, Paris, 1838.
- de Penhoen .B, mémoires d'un officier d'état-major, Librairie charpentier, Paris, 1832.
- de Reynaud Pellissier, Annales Algériennes, Paris 1836-1839.
- Deprez F-A, Journal d'un officier de l'armée d'Afrique, Paris, 1831.
- Duc d'Orléans, La Compagne de l'Armée d'Afrique 1835-1839, Michel Lévy frères Editeurs, la librairie Nouvelle, Paris, 1870.

- E-CH Bourseul, Souvenirs de la guerre d'Afrique. Insurrection des Zibans. Zaatcha, imprimerie militaire de veronnais, Metz, France,1851.
- Esquer Gabriel, Correspondance du duc Rovigo, T3, ancien maison bastide jourdan imprimerie, Alger, 1920
- Féraud L.H, documents pour servir l'histoire de Philippeville, Revue africaine : journal des travaux de la Société historique algérienne, Société historique algérienne, 20eme année, 1876.
- FORQUET-D'HACHATTE .M, Guerres d'Afrique «CONSTANTINE» Expéditions Française (1936-1937), imprimerie de Poussielgue Masson et Cle, Paris, 1852.
- Frisch R-J. , considération sur la défense de l'Algérie la Tunisie et L'Armée d'Afrique, imp librairie militaire,Paris, (s.d).
- Herbillon Émile (Général), Insurrection survenue dans le sud de la province de Constantine en 1849 : relation du siège de Zaatcha. Librairie militaire, Paris, 1863.
- lavauzelle Henri charles, En Algérie les Ouled Sid-chikh, Imprimerie Librairie Militaire, Paris, 1891.
- Lesur C-L, Annuaire Historique pour 1830, Librairie Thoinier, Paris, 1832.
- Mercier Ernest, Histoire de Constantine, J.Marle et F.Biron Imprimeurs-Editeurs, Constantine, 1903.
- Mercier Ernest, Les Deux Sièges de Constantine (1836-1837), imprimerie libraire L.Poulet, France, 1896.
- Narcisse Faucon, Livre d'or de l'Algérie : histoire politique, militaire, administrative, événements et faits principaux, biographie des hommes ayant marqué dans l'armée, les sciences, les lettres, etc., de 1830 à 1889, T1 : Biographie, Challamel et Cle Editeur, Paris, 1889
- Noillat, L'Algérie en 1882, librairie militaire de J.Dumain, Paris, 1882.
- Quinement Jules, Solution de la question de l'Algérie et de la Tunisie, Imp Rochelles, Paris, 1881.
- Richard Charles, étude sur insurrection du Dhara 1845-1848, Alger, 1846.
- Rinn Louis , Marabouts et Khouans, Etude sur L'islam en Algérie, Adolphe Jourdan Libraire-Editeur, Alger 1884.
- Sabatier camille, La questions de la sécurité, insurrection et criminalité : les difficultés Algériens, Adolpi le Jourdan librairie Edition, Alger, 1882.

- Serre Louis, Les arabes martyrs : études sur l'insurrection de 1871 en Algérie, Elachaud editeur, Paris, 1873.
- Si Azziz, Mémoire d'un accusé Si Azziz Ben Mohamed Amezian Ben Cheikh El-Haddad à ses Juges et ses Défenseurs, Constantine, Marl, 1873.
- Un ancien officier de l'armée d'Afrique, L'Algérie devant l'assemblé national « causes des insurrections algériennes », Versailles Muzard Libraire, Paris, 1871.
- Un Ancien Officier de l'Armée du Rhin, Le Général Lapasset 1817-1864, T1.
- Zurcher .M, la Pacification et l'organisation de la Kabylie orientale de 1838 à 1870, société d'Edition les belles lettres, Paris (s.d)

3- الجرائد:

أ- باللغة الفرنسية:

- Le Moniteur Algérien journal officiel de la colonie, N° 660, 13eme Année, Paris, 30 Novembre 1844.

ثانيا: المراجع:

1- الكتب:

أ- باللغة العربية:

- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- أبو خليل شوقي ، وادي المخازن، معركة الملوك الثلاثة، ط1 ، دار الفكر المعاصر، بيروت 1988.
- أجيرون شارل روبير ، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1870-1919)، دار رائد للكتاب، الجزائر، 2007.
- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، دار المعارف، الجزائر، 1963.
- الأشرف مصطفى ، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007.
- البخاري حمانة ، فلسفة الثورة الجزائرية، دار الغرب للنشر ، وهران ،2010 .
- بزيان سعدي ، جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، 2005.
- بقطاش خديجة ، الحركة التبشيرية في الجزائر 1830- 1871 ، دار دحلب، الجزائر، 2009.
- بلاح بشير ، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989، ج1، دار المعرفة للنشر، الجزائر، 2006.

- بلاسي نبيل أحمد ، الإتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990.
- بن علي بن البشير اليزناسي العتيبي الورطاسي الحسني قدور ، بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني، ط1، دار المغرب، الرباط، 1976.
- بن محمد الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام، ج 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980.
- بوحوش عمار ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1997.
- بورنان سعيد ، رواد المقاومة الوطنية في القرن التاسع عشر، ط2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
- بوطالب عبد القادر ، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، الشركة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.
- بوعزيز يحيى ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.
- بوعزيز يحي ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الطبعة الثانية، دمشق، 1964.
- بوعزيز يحي ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج1،ط1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1965
- بوعزيز يحي ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري بسيرته الذاتية و جهاده،يليه بطل الكفاح،و يليه مراسلات الأمير عبد القادر، طبعة خاصة 2009،دار البصائر،2008.
- بوعزيز يحي ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1: ثورات القرن التاسع عشر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- بوعزيز يحي ، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر،2009.
- البيطار فراس ، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج3، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ص 1226-1236.
- جلال يحي، السياسة الفرنسية في الجزائر من 1820 إلى 1920، دار المعرفة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1959
- جلال يحي واخرون، مسالة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، دط، دار المعارف ، القاهرة ، 1992.
- الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام، ج4 ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت
- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد ، تاريخ الجزائر العام،ج 2، دوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- حرب أديب، التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر الجزائري1808 – 1847، ج1، ط3 ، دار الرائد ، الجزائر 2005 .
- حرب أديب، التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر الجزائري1808 – 1847، ج2، ط3 ، دار الرائد ، الجزائر 2005 .
- الحسني الجزائري الأميرة بديعة ، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة و التحريف، ط2 ، دار المعرفة، الجزائر، 2008.

- حقي إحسان ، الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1961.
- حمودي صبحي ، المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، دار المشرق ، بيروت ، 2001 .
- دردار فتحي، الأمير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية (1832 – 1847)، د ط، .دار النشر ، 2001 .
- رانسي ادريس ، القبائل الحدودية التونسية والجزائرية بين الاجارة والاغارة (1830-1881)، ط1، الدار المتوسطية للنشر، تونس2016م.
- زوزو عبد الحميد ، ثورة الاوراس سنة 1879م، (دط)، المؤسسة الوطنية للكتاب1986.
- زوزو عبد الحميد ، ثورة الشيخ بوعمامة (1881-1908): جانبها السياسي، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983.
- زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- سبنسر وليام ، الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.
- صاري جيلالي وقداش محفوظ، الجزائر في التاريخ: المقاومة السياسية (1900-1954) الطريق الاصلاحي والثوري، تر: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
- الصلابي علي محمد ، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ، دار التوزيع والنشر، القاهرة، 2005.
- صيام زكريا ، الأمير عبد القادر الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، دت.
- الطيب العلوي محمد، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، ط3، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر (د.ت)
- الطيبي محمد، الجزائر عشية الغزو الاحتلال(دراسة في الذهنيات والبنيات والمآلات)، دار ابن النديم للنشر والتوزيع،الجزائر،2009.
- عبد الفتاح عصام، أيام محمد علي: حكاية رجل سبق عصره : عبقرية الإرادة وصناعة التاريخ، الشريف ماس للنشر والتوزيع، مصر، 2014.
- عبيد أحمد ، التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية (الجزائر، تونس، المغرب)، ابن نديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- العربي إسماعيل، الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس الدولة وقائد الجيش، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984

- العربي إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، د ت.
- العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التسع عشر، دار المعرفة للنشر، الجزائر، 2006.
- العسلي بسام ، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي (1830-1838)، ط2، دار النفائس، بيروت، 1986

- العسلي بسام، الأمير عبد القادر الجزائري، ط، 3، دار النفائس، بيروت، 1986.
- العلوي محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، ط3، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر (د.ت).
- عمار هلال، أبحاث وآراء ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- عميراوي أحميدة ، من تاريخ الجزائر الحديث، ط ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004.
- عميراوي احميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة 2002.
- عميراوي احميده، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، منشورات جامعة منتو ري، قسنطينة، 1999.
- عميراوي احميده، موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي، المكتبة الوطنية للنشر، الجزائر، 2003
- غنابزية علي ، ادوار الكفاح المسلح في واد سوف والجنوب الشرقي الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي الجزائري (1854-1962) ط1 ، مطبعة الوادي، مديرية الثقافة لولاية الوادي، الجزائر، 2016.
- فركوس صالح ، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد (1844-1871)، منشورات جامعة باجي مختار، 2007.
- فركوس صالح ، الحاج أحمد باي قسنطينة1826-1850، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- فركوس صالح ، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال – المراحل الكبرى، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- فركوس صالح ، موسوعة تاريخ جهاد الأمة الجزائرية (من بداية الاحتلال إلى غاية الاستقلال1830-1962)، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت).
- فوكوس صالح ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830-1925)، منشورات جامعة قالمة، الجزائر، 2010.
- قداش محفوظ ، جزائر الجزائريون تاريخ الجزائر(1830 1954)، تر: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2008.
- قنان جمال، معالم الكفاح الوطني ضد الاحتلال 1830. ،1954، منشورات المنظمة الوطنية للمجاهدين للجزائر العاصمة الجزائر،2003.
- قنان جمال، نصوص سياسية جزائرية 1830-1914، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1993.
- لونيسي رابح وآخرون ، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- محمد رضا يوسف ، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة ، ط1، مكتبة ناشرون ، بيروت، 2006 .
- المدني أحمد توفيق ،كتاب الجزائر، ط2، القاهرة، 1962م.

- مرتاض عبد المالك ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962، سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- مسعودي أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها 1792 - 1830، دار الخليل العلمية للنشر، الجزائر.
- معوشي أمال، يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي (1830-1870)، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- مقلاتي عبد الله ، الدعم الليبي للثورة التحريرية، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت).
- مناصرية بوسف، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
- مياسي إبراهيم ، المقاومة الشعبية الجزائرية، دار مدني للنشر والطباعة، الجزائر، 2008
- مياسي إبراهيم ، مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، دار هومة للطباعة، الجزائر.
- نايت بلقاسم مولود قاسم، شخصة الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2007.
- هلال عمار ، أبحاث وآراء ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- هلايلي حنيفي ، أوراق بتاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008م .
- الهواري عدي ، الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1830-1962)، تر: عبد الله جوزيف، دار الحداثة، بيروت، 1983.

ب- باللغة الفرنسية:

- Agéron Charles Robert, Histoire de l'Algérie contemporaine, Tome 2 : De l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de libération 1954, Paris, 1979.
- _____, l'Algérie algérien de napoléon à de Gaulle, paris, 1980.
- _____, Les Algériens musulmans et la France, Tome 2, PUF, Paris, 1968.
- Albin Pierre, Les grands traités politiques: recueil des principaux textes diplomatiques de 1815 à 1914, 3eme Ed, Librairie Félix Alcan, Paris ,1923.
- Collot Claude, les institution de l'Algérie durant la période colonial (1830_1962),Edition du GNRS, paris,1987.
- Esquer Gabriel, Histoire de l'Algérie, Collection que sais je, PUF, Paris, (s.d).
- Garrot Henri, Histoire Général de l'Algérie ; Paris, 1910.

- Gouvion Marthe et Edmond, Kitab Aàyane el- Marhariba-Territoires du sud, imprimerie oriental, Alger, 1920.

- Grasset Albert, La Défense des côtes, Berger-Levrault, Paris, 1899.
- Guiral Pierre, Les militaires à la conquête de l'Algérie, Criterion Histoire, Paris , 1992.

- Julien Charles André, Histoire de l'Algérie contemporaine, Paris, 1964.
- Laraoui Abdellah, l'Histoire du Maghreb : un aissai de synthèse, Maspero , Paris, 1982.
- Mahjoubi Ali, l'établissement du protectorat française en Tunisie, P U Tunisie, 1977.
- Meynier Gilbert, L'Algérie Révélée, La guerre de 1914-1918 et le premier quart du XX eme Siècle, Libraire Droze, Algérie, 2010.
- Société des sciences naturelles, archéologiques et historiques (Creuse), Mémoires de la société des sciences naturelles et archéologiques de la Creuse, Paris, 1922.

- Tiab Mohamed, La chronologie algérienne 1830- 1962 Tome 1 ; imprimerie, ISHAQ Boufarik 1999.
- Zou Zou Abdelhamid, Aurès au temps de la France colonial évolution Politique économique et sociale 1837-1939, tom1, Ed distribution Houma, alger,2002.

2- مجلات وملتقيات:

أ- باللغة العربية:

- بلحاج ناصر، دور الدعاية العثمانية الألمانية في رفض التجنيد الإجباري في الجزائر والدعاية الفرنسية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد3، جامعة غرداية، 2008.
- بو كعبر تقي الدين ، لالا زينب الهاملية ودورها في المقاومة الثقافية: قراءة في قصيدة شعرية مخطوطة للشيخ محمد بن أحمد القماري، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 13، العدد 19، ديسمبر 2015.
- بوعزيز يحي ، دور تونس في دعم حركة التحرير الجزائرية وموقف الجزائرين من احتلالها سنة1881، مجلة الثقافة ، ع70، الجزائر، 1982.
- بوعزيز يحي، أضواء على كفاح الشريف بوشوشة، مجلة الثقافة، عدد34، أغسطس - سبتمبر، 1976.
- بوعزيز يحي، المجهولون من زعماء المقاومة في الشرق الجزائري، مجلة الأصالة، عدد54-55، فبراير 1978.
- بوعزيز يحي، إنتفاضة سكان الأوراس الغربية عام 1879، مجلة الأصالة، عدد60-61، سبتمبر 1978.
- _____، جهود الأمير عبد القادر وخلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية، مجلة الأصالة، عدد 48، أوت 1977.
- _____، نماذج من مقاومة سكان الواحات، مجلة الأصالة، عدد 41، جانفي 1977.

- _____، وثائق جديدة عن ثورة بن ناصر بن شهرة 1851-1875، مجلة الثقافة، عدد31، فبراير – مارس، 1976.
- جيلالي بلوفة عبد القادر، المقاومة الشعبية الجزائرية: قراءة تاريخية في أسباب حدوثها وعوامل تواصلها (1830-1916)، مجلة الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارية، العدد 18، 2013.
- سالم علي أحمد، العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن السادس عشر، مجلة كان، ع13، السنة الرابعة، 2011
- شافو رضوان ، انعكسات السياسة الاستعمارية على العلاقات بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1830-1904م، مجلة كان التاريخية، ع34، ديسمبر 2016.
- طاعة سعد، الفكر السياسي والدبلوماسي عند الأمير عبد القادر، مقال منشور في كتاب جماعي بعنوان: الأمير عبد القادر عبقرية في الزمان والمكان، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر،2012.
- العيد بشي إبراهيم ، دور سكان الجنوب الشرقي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 11، جوان 2013.
- غالم محمد، ظاهرة المهدي المنتظر في المقاومة الجزائرية خلال القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين، مجلة إنسانيات، العدد 11، سنة 2000.
- لبيض سالم ، تطور حركة المقاومة في أقصى الجنوب التونسي من القبيلة إلى الخلية الحزبية، أعمال المؤتمر الأول لمنتدى التاريخ المعاصر حول: منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغرب العربي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، سبتمبر 1998.
- مياسي إبراهيم ، الاستيطان الفرنسي في الجزائر، مجلة المصادر، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، (د.ت)، ص115.
- هاشمي أمال ، حضور المرأة الجزائرية في أدب الاستعمار الفرنسي: قراءة لأعمال الكاتبة "مارافال بعتوان (Angele Maraval Berthoin)"، مجلة جسور المعرفة، مجلد 05، العدد 04، مارس 2019.

ب– باللغة الفرنسية:

- Chentouf Tayeb, les résistances armés au 19 eme siècle « essai de synthèse », Cahiers maghrébins d'histoire, institut de sociologie, laboratoire d'histoire de l'Algérie de l'Afrique et de la méditerrané occidentales, N°1, Décembre 1987.
- Godchot (Colonel), les trois coup de chasse mouche du dey d'Alger, La Revue politique et littéraire: revue des cours politique et littéraires « revue bleue », Germer Baillière (Paris), 68eme année, N°1 1930.
- VOINOT Louis , la Situation sur la Frontiére Algéro-Marocaine du Tell Lors de l'insurrection des OULED sidi Cheikh dans la Sud Oranais (1864-1870), Revue Africaine N) 300, 1919

- Yver George, Abdelkader et le Maroc en 1838 , R.A, Année 1919,O.P.U. Alger, 1986.

3- الموسوعات والقواميس:

- البيطار فراس ، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج3، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن.
- الكيالي عبد الوهاب ، موسوعة السياسة،ج1 ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، 1976.
- مؤلف جماعي، الموسوعة العسكرية، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، .1981

4- الرسائل الجامعية:

- بلحاج ناصر، مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري (1912-1916) ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص التاريخ المعاصر، جامعة بوزريعة، المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، السنة الجامعية 2004-2005 .

- بلعربي نور الدين ، العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الامير عبد القادر(1830-1847)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص العلاقات بين ضفتي البحر الابيض المتوسط المغرب- اوروبا، جامعة الجزائر، 2008.

- بن سيفي عز الدين ، العلاقات الجزائرية المغربية (1246هـ-1330هـ /1830-1912م) ، رسالة دكتورة في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، السنة الجامعية 2017-2018.

- حسيني عائشة، الاستيطان الأوربي بسهل متيجة 1830-1870، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2012 – 2013

- قريري سليمان، تطور الاتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940-1954، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، 2010-2011.

فهرس

المحتويات

مقدمة..... أ

المحور الأول: بدايات الغزو والاحتلال وظهور المقاومة الشعبية..... 1

المحاضرة الأولى: بدايات الغزو والاحتلال..... 2

المحاضرة الثانية: ظهور المقاومة الشعبية (1): أنواع المقاومات الشعبية ومظاهرها..... 10

المحاضرة الثالثة: ظهور المقاومة الشعبية (2): أسباب المقاومات الشعبية 16

المحور الثاني: مقاومة العاصمة ومتيجة..... 24

المحاضرة الرابعة: المقاومة في العاصمة 25

المحاضرة الخامسة: المقاومة في متيجة 29

المحور الثالث: الاستراتيجية العسكرية لمقاومتي أحمد باي والأمير عبد القادر..... 34

المحاضرة السادسة: الاستراتيجية العسكرية لمقاومة أحمد باي (1): مرحلة التحضير والقوة..... 35

المحاضرة السابعة: الاستراتيجية العسكرية لمقاومة أحمد باي (2): مرحلة التراجع ثم الاستسلام 41

المحاضرة الثامنة: الاستراتيجية العسكرية لمقاومة الأمير عبد القادر(1): بداية المقاومة وبناء الدولة 49

المحاضرة التاسعة: الاستراتيجية العسكرية لمقاومة الأمير عبد القادر(2): بداية المقاومة وبناء الدولة 55

المحور الرابع: استمرار مقاومة خلال القرن 19م..... 63

المحاضرة العاشرة: أهم المقاومات الشعبية بعد مقاومتي أحمد باي والأمير عبد القادر..... 64

المحاضرة الحادية عشر: خصائص ومميزات المقاومات الشعبية 71

المحاضرة الثانية عشر: أسباب توقف المقاومات الشعبية في الجزائر ونتائجها 78

المحور الخامس: علاقات المقاومة الوطنية بدول الجوار .....
86

المحاضرة الثالثة عشر: علاقة المقاومة الوطنية بتونس وليبيا 87

المحاضرة الرابعة عشر: علاقة المقاومة الوطنية بالمغرب الأقصى..... 96

خاتمة عامة..... 104

قائمة المصادر والمراجع..... 107

فهرس المحتويات..... 119